قصص
نهج البلاغة

محمّد محمّدي الاشتهاردي

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويراً للقاريء الكريم في مطالعة هذا الكتاب: نلفت الانتباه لما يلي:

1 ـ نهج البلاغة! (أخو القرآن)

يتألف نهج البلاغة من ثلاثة أبواب:

1 ـ الخطب.

2 ـ الرسائل.

3 ـ قصار الجمل.

وقد ذكرت لنهج البلاغة أوصاف وتعابير متنوعة منها:

نهج البلاغة: بحر من المعارف ليس له ضفاف.

نهج البلاغة: ألبوم يحتوي على صور السعادة والشفاء والطرق والمتاهات.

نهج البلاغة: كتاب ثوري للتحرر من الاستكبار والاستعمار في كلّ الأزمنة.

نهج البلاغة: كتاب للتربية والتكامل.

نهج البلاغة: كتاب سياسي واجتماعي لجميع الأزمنة والأمكنة، كأ نّه كتب لليوم والغد وما بعدهما، وهو يتجدد مع مرور الأيام ولا يبلى أبداً.

نهج البلاغة: كتاب الجميع، خاصة الشباب، فهم بطبعهم ثوريون مجدّدون، وهذا الكتاب قادر على اشباع هذا الشعور لدى هذا الجيل.

نهج البلاغة: كتاب سياسي، عقائدي، تاريخي، أخلاقي، علمي، اجتماعي، اقتصادي، يشتمل على مباديء أصناف العلوم والرؤى الإنسانية السليمة وعلى القائلين بفصل الدين عن السياسة. مطالعة نهج البلاغة لكي تبدّد الشبهة عندهم.

ولكن يلزم القول، ان أيّاً من هذه التعاريف والأوصاف، يفتقر إلى الوضوح والشمولية، والحريّ بنا تعريف نهج البلاغة بأ نّه (أخو القرآن) ولا يوجد في الإسلام كتاب بعد القرآن يصل لمستوى عظمة نهج البلاغة فهو نموذج أدبي للأباء، وسياسي لرجال السياسة، وأخلاقي لأساتذة الأخلاق، وعقائدي وفلسفي وعرفاني للمحققين والعارفين والأتقياء، واجتماعي وديني لأهل السوق والمحلّة... فكأن هذا الكتاب لب القرآن وبطنه، وكأن وحي السماء جبريل الأمين أجرى كلمات نهج البلاغة كلمة كلمة على لسان أميرالمؤمنين عليّ(عليه السلام)، ذلك ان هذه الكلمات صدرت عن مخزن علم النبوة ومثال الإنسانية وربيب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، الإمام عليّ(عليه السلام).

نهج البلاغة: يعدّ أكبر مصدر معرفي، بعد القرآن، وهو ينطوي على مباديء علم التربية الإنسانية.

نهج البلاغة: مرآة القرآن، كأ نّه مقتبس عنه... وما أحرى أن نقول أ نّه (أخو القرآن)، كونه يصدر عن لسان أميرالمؤمنين(عليه السلام) ذلك الوجود المقدس الّذي يقول في أحد خطبه:

«ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير...»(1).

العلاّمة القدير ابن أبي الحديد من كبار علماء السنّة (المعتزلة) يصف بهذه العبارة شرحه الكبير (وهو من أفضل شروح نهج البلاغة بعشرين مجلداً) وهو يعني بذلك أن شرحه رغم كونه هادراً وقوياً كالسيل ولكنه يغور في هذه الصحراء الواسعة ولا يحيط بها.

وروي عن عليّ(عليه السلام) أ نّه قيل له: «هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لا، والّذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلاّ أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه».

وقد علّق العلاّمة الطباطبائي على هذا الحديث بالقول: أقول: وهو من غرر الأحاديث، وأقل ما يدلّ عليه أن ما نقل من أعاجيب المعارف الصادرة عن مقامه العلمي الّذي يدهش العقول مأخوذ من القرآن الكريم(2).

2 ـ مؤلف نهج البلاغة

الشريف الرضي هو الّذي جمع كلام أميرالمؤمنين(عليه السلام) وصنّفه في كتاب (نهج البلاغة)، وهو من أكابر علماء القرن الرابع الهجري وعباقرة الشيعة، سطع نجمة في سماء التاريخ الإسلامي، هو وأخوه السيد المرتضى (علم الهدى).

نسبه الكامل: محمّد بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر(عليه السلام) المعروف بـ «الشريف الرضي» الحفيد التاسع للإمام السابع موسى بن جعفر(عليه السلام). ولد في بغداد عام 359 هـ ق، وتوفي في السادس من محرم عام 406 هـ ق عن عمر يناهز السابعة والأربعين في بغداد نفسها، ودفن في الكاظمية بجوار ضريح الإمام الكاظم(عليه السلام)، على نحو الأمانة، ثمّ نقل جثمانه الشريف بناءً على وصية منه إلى كربلاء ووري الثرى هناك(3).

3 ـ كتاب نهج البلاغة!

كما أشرنا آنفاً فإنّ كتاب نهج البلاغة يعدّ كتاب عمل وعقيدة، ومن الواضح ان التعرف على هذا الكتاب مقدمة للعقيدة والعمل. وأفضل وأتمّ طريق لفهم نهج البلاغة هو تحليله وشرحه ودراسته موضوعياً، وفي هذا الاتجاه ثمة خطوات جبارة فيما مضى من قبل العلماء الأجلّة، وألفت كتب عديدة في هذا السياق من قبيل: الخوارج في نهج البلاغة، بيت المال في نهج البلاغة، أبيات نهج البلاغة، علاقة القرآن بنهج البلاغة، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، أعلام نهج البلاغة، الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة، الشهادة في نهج البلاغة ونحو ذلك.

وكاتب هذه السطور، قام بدوره، وعلى قدر استعداده بتفكيك وتحليل ثلاثة مواضيع في نهج البلاغة:

1 ـ آيات القرآن في نهج البلاغة.

2 ـ حديث النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في نهج البلاغة. (وقد طبع هذان الكتابان من قبل دار النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة).

3 ـ أوصاف القرآن في نهج البلاغة (نشرته احدى كبريات الصحف واسعة الانتشار).

والآن وفي السياق ذاته، أتقدم بالكتاب الحالي بعنوان (قصص نهج البلاغة) ويشتمل على (140) قصة، على أمل أن يكون الكتاب خطوة أُخرى في طريق فهم كتاب نهج البلاغة، في ضوء القناعة بأن القصة الجيدة بمثابة مرآة تُري الأشياء الحسنة والسيئة، وتنقل التجارب والخبرات المتراكمة انسانياً في مختلف المجالات وتؤثر على عوامل الظفر والانهزام.

4 ـ طريقتنا في الكتاب

يدور محور الحديث في هذا الكتاب ببيان جزل وسلس ومفهوم، ولما كان نهج البلاغة مشتملا على مطالب وقعت في الغالب زمان خلافة أميرالمؤمنين عليّ(عليه السلام)، فمن الطبيعي أن تلاحق موضوعات نهج البلاغة حوادث ذات بعد سياسي واجتماعي، مع وجود بعض القصص الّتي تعالج قضايا اقتصادية وأخلاقية ودينية، وتقدم دروساً وعبراً مفيدة في هذه المجالات أيضاً.

وايضاحاً للمنهج الّذي اعتمدته في استلال القصة من نهج البلاغة، اشير إلى النقاط الخمس التالية:

1 ـ كان معيارنا في تحديد القصة من غيرها مشابهة المطلب للقصة بدرجة 50% وأكثر، وقد اقتبسنا هذه القصص من تضاعيف وثنايا نهج البلاغة أينما تحقق هذا الشرط والمعيار، ولهذا أعرضنا عن ذكر المطالب الّتي وردت فيها إشارة عابرة إلى قصة ما، ولم ندرج هذه المطالب في كتابنا.

2 ـ ربما وجدت القصة الواحدة في خطبتين من النهج أو رسالتين أو خطبة ورسالة أو أكثر من ذلك، وفي حالات كهذه كنّا نقتبس القصة من هذه الموارد المتعددة مع الإشارة إلى المصدر، وقد نستعين أحياناً بتفاصيل من خارج نهج البلاغة لتكميل القصة.

3 ـ نتعرض عموماً لذكر اللوازم الطبيعية للقصة وذلك لتبيين مجرى الحوادث بشكل طبيعي وفي هذا الصدد تمت الاستعانة بكتب التواريخ وشروح لنهج البلاغة، مع الاحتفاظ بمحورية نهج البلاغة، وكون القصة بمجموعها تصبّ في مصب الهدف العام للنهج.

4 ـ سُعي ـ قدر الإمكان ـ لسرد القصص على نحو انسيابي وتفادينا ايراد الزوائد والكلمات المبهمة، لكي يسهل فهمها على عموم القراء الكرام.

5 ـ رتّبت القصص على الترتيب الّذي جاءت عليه في نسخة الدكتور صبحي الصالح، وقد روعي هذا الترتيب من بداية الكتاب إلى نهايته، ماعدا في موارد محدودة بسبب الحاجة إلى تكميل القصة من أكثر من موضع.

وفي الختام، لا يخفى على أحد دور وتأثير القصة الجيدة في تطهير وتنمية الفرد والمجتمع سياسياً واجتماعياً، خاصة القصة المرتبطة بمتن في نهج البلاغة، يقول الإمام عليّ(عليه السلام) في أحد أقواله: «عباد الله! ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضيين»(4).

على أمل أن نتلمَس طريق السعادة في مرايا قصص نهج البلاغة وحكايات هذا الكتاب الخالد، ولن ننمّي أرصدتنا وذخائرنا المعنوية بالاستنارة بوصايا الإمام عليّ(عليه السلام) وتوجيهاته الكريمة... إن شاء الله.

الحوزة العلمية في قم المقدّسة

محمّد محمّدي اشتهاردي

(1) نهج البلاغة: الخطبة 3.

(2) الميزان: 3/73.

(3) تفصيل حياة هذا الأديب الجليل في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: 1/31 ـ 41.

(4) نهج البلاغة: خ 157.

[1]
تمرّد إبليس

إبليس (أب الشياطين)، كان في صف أهل العرش، ستّة آلاف عام قضاها يتعبّد في محراب الله.

الله الكبير المتعال عندما خلق الإنسان، ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة بالسجود له (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الكَافِرِينَ)(1) ولما سأله الله جلّ شأنه عن عدم سجوده قال: (قَالَ مَا مَنَعَكَ ألا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين)(2)فقال جلّ شأنه له: (فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (3).

يقول الإمام عليّ(عليه السلام) في خطبة له تسمّى القاصعة وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم(عليه السلام)، وأ نّه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته:

الْحَمْدُ لله الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمىً وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ.

وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذلِكَ مَلاَئِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ المُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: (إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِين فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ ... إلى أن يقول: -

وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالإِخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُم.

فَاعْتَبِروا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَة، لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الأُخْرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَة وَاحِدَة.

فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلاَّ، مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْر أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَد مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاحْذَرُوا عَدُوَّ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ(4).

[2]
توبة آدم(عليه السلام)

خلق الله آدم(عليه السلام) ووهبه المعرفة الّتي يفرق بها بين الحقّ والباطل، أسكنه سبحانه داراً أرغد فيها عيشته، وآمن فيها محلته، وحذره إبليس وعداوته.

ولكن إبليس اللعين انتهز منه غرة فأغواه، وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار، فأدخل عليه الشك في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهى الله له عن تناول ما يوجب له اليقين بحظره عليه.

يقول أميرالمؤمنين(عليه السلام): «اغْتَرَّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلا، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً. ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ»(5).

فقد أخرجهما مما كانا فيه وغفر خطيئتهما بعدما تابا ولم يرجعهما إلى الجنّة(6) بل أهبطهما إلى الدنيا ليحييا فيها ولو لم تكن الحياة الأرضية مع أكل الشجرة وظهور السوأة حتماً مقضياً، والرجوع إلى الجنّة مع ذلك محالا، لرجعا إليها بعد حط الخطيئة، فالعامل في خروجهما من الجنّة وهبوطهما هو الأكل من الشجرة وظهور السوأة، وكان ذلك بوسوسة الشيطان اللعين(7).

[3]

من أجل هدفين

بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، كان الوصي الحقيقي والخليفة الشرعي له هو أميرالمؤمنين(عليه السلام)، ولكن القوم غصبوا الخلافة منه، فأصبح أبو بكر الخليفة، حيث استمرت خلافته سنتين وأربعة أشهر، وقبل وفاته أوصى إلى عمر بن الخطاب، الّذي استمر يحكم المسلمين لأكثر من احدى عشر عاماً، ثمّ قتل، فجاء بعده عثمان عن طريق شورى الستّة الّتي عيّنها عمر، وبقي عثمان حاكماً لمدة اثني عشر عاماً، ثمّ قتل بعدها لترجع الأمة إلى خليفتها الشرعي الإمام عليّ(عليه السلام)، الّذي امتدّت خلافته لمدّة أربعة سنوات وتسعة أشهر تقريباً، قاتل فيها الناكثين والقاسطين والمارقين كما أخبره رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

يقول الإمام عليّ(عليه السلام) متحدّثاً عن تلك الفترة الزمنية وذلك في خطبته المعروفة بالشقشقية:

«أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ.

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفي الْعَيْنِ قَذىً، وَفي الحَلْقِ شَجىً... إلى أن يقول: -

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُوم، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز!

وقام إليه رجل من أهل السواد(8) عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه.

قال له ابن عباس: يا أميرالمؤمنين، لو اطَّرَدت خطبتك من حيث أفضيتَ!

فَقَالَ : هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاس! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ!

قال ابن عباس: فوالله ما أَسفت على كلام قطّ كأَسفي على ذلك الكلام أَلاَّ يكون أميرالمؤمنين(عليه السلام) بلغ منه حيث أراد(9).

[4]

وقت السياسة

لما قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، واشتغل عليّ(عليه السلام) بغسله ودفنه، وبويع أبو بكر، خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بالعباس وعليّ(عليه السلام)، لاجالة الرأي، وتكلموا بكلام يقتضي الاستنهاض والتهييج، وكان ممّا قاله أبو سفيان لأميرالمؤمنين(عليه السلام): (أبسط يدك أُبايعك، فو الله إن شئت لأملأنها على أبي فضيل ـ يعني أبا بكر ـ خيلا ورجلا) فقال العباس: قد سمعنا قولكم فلا لقلّة نستعين بكم، ولا لظنّة نترك آراءكم، فأمهلونا نراجع الفكر، فإن يكن لنا من الاثم مخرج يصر بنا وبهم الحقّ صرير الجدجد، ونبسط إلى المجد أكفا لا نقبضها أو تبلغ المدى، وإن تكن الأُخرى، فلا لقلّة في العدد ولا لوهن في الأبد، والله لولا أن الإسلام قيد الفتك، لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحل العلى، فحل عليّ(عليه السلام) حبوته، وقال:

«الصبر حلم، والتقوى دين، والحجة محمّد، والطريق الصراط، أيها الناس، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الـمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الـمُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاح، أوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كالزَّارعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الـمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ المَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي(10)! وَاللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِب آنَسُ بالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْم لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ»(11).

[5]

جائزة الاشتراك في تحقيق الهدف

لما أن منَّ الله تعالى عليه ـ الإمام عليّ(عليه السلام) ـ بما هو أهله من الظفر على أصحاب الجمل، قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال عليّ(عليه السلام):

أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ قال: نَعَم. قالَ: فَقَدْ شَهِدنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هذَا أَقْوَام فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، ويَقْوَى بِهِمُ الإيمان(12).

ثمّ دخل بجماعة من أصحابه إلى بيت مال المسلمين بالبصرة، فنظر إلى ما فيه من العين والورق، فأدام النظر إليه، فجعل يقول: يا صفراء ويا بيضاء، غري غيري.

ثمّ قال(عليه السلام): اقسموه بين أصحابي، خمسمائة خمسمائة، فقسموه فأصاب كلّ رجل منهم خمسمائة، فلم يزد درهماً ولا نقص درهماً! فكان عدد أصحابه اثني عشر ألفاً، وقبض(عليه السلام) على ما أصابه في معسكرهم، فباعه وقسمه أيضاً عليهم، ولم يزد لنفسه ولا لأولاده وأهل بيته عن أصحابه بشيء أبداً. ثمّ أتاه رجل من أصحابه لم يكن حاضر القسمة. فقال: يا أميرالمؤمنين، إني لم آخذ شيئاً لعدم حضوري عند القسمة، فالسبب الموجب لغيابي عنها هو كيت وكيت، فأعطاه ما أصابه من القسمة(13).

[6]

نقد شديد لحماة الباطل

بعد أن اجتمع طلحة والزبير وعائشة بالبصرة لمحاربة أميرالمؤمنين(عليه السلام)، تجهز لهم الإمام وأدركهم بالبصرة، وبعد أن أوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة، حيث بذل محاولات كثيرة حقناً للدماء فلم ينجح النصح، انتشبت الحرب بين الفريقين واشتد القتال، وكان الجمل يعسوب جيش عائشة قتل دونه خلق كثير من الفئتين وأخذ خطامه سبعون قرشياً ما نجا منهم أحد، وانتهت الموقعة بنصر عليّ(عليه السلام) بعد عقر الجمل، ومقتل طلحة والزبير وسبعة عشر ألفاً من أصحاب الجمل وكانوا ثلاثين ألفاً، وقتل من أصحاب عليّ ألف وسبعون.

وكان ممّا قاله أميرالمؤمنين(عليه السلام) في ذم أهل البصرة: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ البَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُم، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ.

أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِيْنُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ.

المُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمة مِنْ رَبِّهِ.

كَأَنِّي بِمَسْجِدكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَة، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْها العَذَابَ مِنْ فَوْقِها وَمِنْ تَحتِها، وَغَرِقَ مَنْ في ضِمْنِها»(14).

[7]

استرداد بيت المال

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان:

والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق.

قال ابن أبي الحديد: وأمر ـ عليّ(عليه السلام) ـ أن ترتجع الأموال الّتي أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها، فبلغ ذلك عمرو بن العاص، وكان بأيلة من أرض الشام، أتاها حيث وثب الناس على عثمان، فنزلها فكتب إلى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كلّ مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها.

وكان هذا أول ما أنكروه من كلامه(عليه السلام)، وأورثهم الضغن عليه وكرهوا اعطاءه وقسمه بالسوية. فلما كان من الغد، غدا وغدا الناس لقبض المال، فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه: ابدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعط كلّ رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثمّ ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلهم، الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أميرالمؤمنين، هذا غلامي بالأمس، وقد أعتقته اليوم.

فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضل أحداً على أحد، وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة، والزبير، وعبدالله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بالحكم، ورجال من قريش وغيرها.

وسمع عبيدالله بن أبي رافع عبدالله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد: ما خفى علينا أمس من كلام عليّ ما يريد، فقال سعيد بن العاص ـ والتفت إلى زيد بن ثابت ـ : إياك أعني واسمعي يا جارة.

فقال عبيدالله بن أبي رافع لسعيد وعبدالله بن الزبير: إنّ الله يقول في كتابه: (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ).

ثمّ إن عبيدالله بن أبي رافع أخبر عليّاً(عليه السلام) بذلك، فقال:

«والله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمنهم على المحجة البيضاء، والطريق الواضح، قاتل الله ابن العاص! لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أني أريده وأصحابه ممّن هلك فيمن هلك»(15).

[8]

ضوابط لا روابط

من خطبة لأميرالمؤمنين(عليه السلام) لما بويع بالمدينة:

«ذِمَّتي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ: إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ العِبَرُ عَمَّا يَدَيْهِ مِنَ المَثُلاتِ، حَجَزَتهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ.

أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ، وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا. وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً، وَلا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهذا المَقامِ وَهذَا اليَوْمِ.

أَلاَ وَإِنَّ الخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُها، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ في النَّارِ.

أَلاَ وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الجَنَّةَ. حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أَمِرَ البَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، وَلَئِنْ قَلَّ الحقُّ لَرُبَّما وَلَعَلَّ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيءٌ فَأَقْبَلَ!

شُغِلَ مَنِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ! سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، وَمُقَصِّرٌ في النَّارِ هَوَى.

اليَمِينُ وَالشِّمالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الوُسْطَى هِيَ الجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الكِتَابِ، وَآثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ العَاقِبَةِ.

هَلَكَ مَنِ ادَّعى، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى»(16).

بهذه الكلمات بدأ أميرالمؤمنين حكمه في المدينة، وتعتبر هذه الخطبة من جلائل خطبه(عليه السلام) ومن مشهوراتها.

[9]

الأشعث وتوبيخ الإمام له

الأشعث بن قيس من قبيلة كندة، كان من المنافقين في خلافة عليّ(عليه السلام)، وهو من أصحاب أميرالمؤمنين(عليه السلام)، كما كان عبدالله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، كلّ واحد منهما رأس النفاق في زمانه، وكان أشعث سكن الكوفة وهو عامل عثمان على آذربيجان، وكان أبا زوجة عمر بن عثمان وكتب أميرالمؤمنين(عليه السلام) إليه بعد فتح البصرة فسار وقدم على عليّ(عليه السلام) وحضر صفين، ثمّ صار خارجياً ملعوناً.

قال ابن أبي الحديد: كلّ فساد كان في خلافة الإمام عليّ(عليه السلام) وكل اضطراب فأصله الأشعث، وهو الّذي شرك في دمه(عليه السلام)، وابنته جعدة سمّت الحسن(عليه السلام)، ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين(عليه السلام).

وروي أنّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) كان على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أميرالمؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض(عليه السلام) إليه بصره، ثمّ قال: «ومَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللاَّعِنِينَ! حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ! مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ! وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الكُفْرُ مَرَّةً وَالإِسْلاَمُ أُخْرَى! فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلاَ حَسَبُكَ! وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمقُتَهُ الأَقْرَبُ، وَلاَ يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ!»(17).

وقد حُمل الأشعث إلى أبي بكر موثقاً في الحديد هو والعشرة، فعفا عنه وعنهم، وزوجه أخته أُم فروة بنت أبي قحافة ـ وكانت عمياء ـ فولدت للأشعث محمّداً وإسماعيل وإسحاق.

وخرج الأشعث يوم البناء عليها إلى سوق المدينة، فما مرّ بذات أربع إلاّ عقرها، وقال للناس: هذه وليمة البناء، وثمن كلّ عقيرة في مالي، فدفع أثمانها إلى أربابها.

قال الطبري: وكان المسلمون يلعنون الأشعث ويلعنه الكافرون أيضاً وسبايا قومه، وسماه نساء قومه عرف النار، وهو اسم للغادر عندهم.

أمّا الكلام الّذي كان أميرالمؤمنين(عليه السلام) قاله على منبر الكوفة فاعترضه فيه الأشعث، فإن عليّاً(عليه السلام) قام إليه وهو يخطب، ويذكر أمر الحكمين، فقام رجل من أصحابه، بعد أن انقضى أمر الخوارج، فقال له: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد؟

فصفق(عليه السلام) بإحدى يديه على الأُخرى، وقال: هذا جزاء من ترك العقدة.

وكان مراده(عليه السلام): هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم، وأصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم، فظن الأشعث أ نّه أراد: هذا جزائي حيث تركت الرأي والحزم وحكمت، لأن هذه اللفظة محتملة، ألا ترك أن الرئيس إذا شغب عليه جنده وطلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب، فوافقهم تسكيناً لشغبهم لا استصلاحاً لرأيهم، ثمّ ندموا بعد ذلك.

فلما قال له: هذه عليك لا لك، قال له: وما يدريك ما عليَّ ممّا لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين!

[10]

نقد شديد للمتخاذلين في الجهاد

عندما استلم الإمام عليّ(عليه السلام) الخلافة الظاهرية، قرر أن يسير جميع المسلمين على خطّه، ولكن حبّ الرئاسة عند البعض والانحراف النفسي الّذي أصاب الكثيرين بسبب اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي، أدّى إلى أن يخالف البعض الإمام ويعلنوا الحرب عليه.

وعلى رأس هؤلاء المخالفين كان معاوية بن أبي سفيان، فمعاوية الّذي كان والياً على الشام من قبل عثمان، أعلن العصيان على الإمام(عليه السلام) بعد مقتل عثمان، وبدأ يهاجم أطراف الدولة الإسلامية ويحتل المدن الواحدة تلو الأُخرى ليضمها إلى سلطانه في الشام مستغلا انشغال الإمام عليّ(عليه السلام)بحر الناكثين في البصرة.

فقد بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن، ليغير على أعمال أميرالمؤمنين(عليه السلام)، والسبب الّذي دفع معاوية على تسريح بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن، ان قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان، يعظمون قتله، لم يكن لهم نظام ولا رأس، فبايعوا لعليّ(عليه السلام) على ما في أنفسهم، وعامل عليّ(عليه السلام) على صنعاء يومئذ عبيدالله بن عباس، وعامله على الجند سعيد بن نمران، فلما اختلف الناس على عليّ(عليه السلام) بالعراق، وقتل محمّد بن أبي بكر بمصر، وكثرت غارات أهل الشام، تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عبيدالله بن عباس، فأرسل إلى ناس من وجوههم، فقال: ما هذا الّذي بلغني عنكم؟ قالوا: انا لم نزل ننكر قتل عثمان، ونرى مجاهدة من سعى عليه. فحسبهم، فكتبوا إلى من بالجند من أصحابهم، فثاروا بسعيد بن نمران، فأخرجوه من الجند، وأظهروا أمرهم، وخرج إليهم من كان بصنعاء، وانضم إليهم كلّ من كان على رأيهم، ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم، ارادة أن يمنعوا الصدقة، والتقى عبيدالله بن عباس وسعيد بن نمران، ومعهما شيعة عليّ(عليه السلام)، فقال ابن عباس لابن نمران: والله لقد اجتمع هؤلاء، وانهم لنا لمقاربون، وان قاتلناهم لا نعلم على من تكون الدائرة، فهلم لنكتب إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) بخبرهم وقدحهم، وبمنزلهم الّذي هم به.

فكتب إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) شارحين له الحال.

فلما وصل كتابهما، ساء عليّاً(عليه السلام) وأغضبه، وكتب اليهما:

من عليّ أميرالمؤمنين إلى عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران: سلام الله عليكما، فإنّي أحمد اليكما الله الّذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد، فإنّه أتاني كتابكما تذكران فيه خروج هذه الخارجة، وتعظمان من شأنها صغيراً، وتكثران من عددها قليلا، وقد علمت أن نخب أفئدتكما، وصغر أنفسكما، وشتات رأيكما، وسوء تدبيركما، هو الّذي أفسد عليكما من لم يكن عليكما فاسداً، وجزاء عليكما من كان عن لقائكما جباناً، فإذا قدم رسولي عليكما، فامضيا إلى القوم حتى تقرءا عليهم كتابي إليهم، وتدعواهم إلى حظهم وتقوى ربّهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وإن حاربوا استعنا بالله عليهم ونابذناهم على سواء، أن الله لا يحب الخائنين.

وقال عليّ(عليه السلام) ليزيد بن قيس الأرحبي: ألاترى إلى ما صنع قومك!

فقال: أن ظني يا أميرالمؤمنين بقومي لحسن في طاعتك، فإن شئت خرجت إليهم فكفيتهم، وإن شئت كتبت إليهم فتنظر ما يجيبونك.

فكتب عليّ(عليه السلام) إليهم:

من عبدالله عليّ أميرالمؤمنين، إلى من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء.

أمّا بعد، فإني أحمد الله الّذي لا إله إلاّ هو، الّذي لا يعقب له حكم، ولا يرد له قضاء، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين. وقد بلغني تجرؤكم وشقاقكم واعراضكم عن دينكم، بعد الطاعة واعطاء البيعة، فسألت أهل الدين الخالص، والورع الصادق، واللب الراجح عن بدء محرككم، وما نويتم به، وما أحمشكم له، فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم في شيء منه عذراً مبيناً، ولا مقالا جميلا، ولا حجة

ظاهرة، فإذا أتاكم رسولي فتفرقوا وانصرفوا إلى رحالكم أعف عنكم، وأصفح عن جاهلكم، وأحفظ قاصيكم، وأعمل فيكم بحكم الكتاب. فإن لم تفعلوا، فاستعدوا لقدوم جيش جم الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغى وعصى، فتطحنوا كطحن الرحى، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربّك بظلام للعبيد. ووجه الكتاب مع رجل من همدان، فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم: إنّي تركت أميرالمؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبي، في جيش كثيف، فلم يمنعه إلاّ انتظار جوابكم فقالوا: نحن سامعون مطيعون، ان عزل عنا هذين الرجلين: عبيدالله وسعيداً.

فرجع الهمداني من عندهم إلى عليّ(عليه السلام) فأخبره خبر القوم.

وكتبت تلك العصابة حين جاءها كتاب عليّ(عليه السلام) إلى معاوية يخبرونه، وكتبوا في كتابهم:

معاوي ألا تسرع السير نحونا *** نبايع علياً أو يزيد اليمانيا

فلما قدم كتابهم، دعا بسر بن أرطاة، وكان قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء، لا رأفة عنده، ولا رحمة، فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة عليّ إلاّ بسطت عليهم لسانك، حتى يرووا أ نّهم لا نجاء لهم، وانك محيط بهم.اكفف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا(18).

فخرج بسر في جيشه حتى أتى إلى المدينة فدخلوها، وعامل عليّ(عليه السلام) عليها أبو أيوب الأنصاري، صاحب منزل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فخرج عنها هارباً، ودخل بسر المدينة، فخطب الناس وشتمهم وتهددهم يومئذ وتوعدهم، وقال: شاهت الوجوه! إن الله تعالى قال: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأتِيهَا رِزْقُهَا...)وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله، كان بلدكم مهاجر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ومنزله، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده، فلم تشكروا نعمة ربّكم، ولم ترعوا حق نبيكم، وقتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتل وخاذل، ومتربص وشامت... ثمّ شتم الأنصار، فقال: يا معشر اليهود وأبناء العبيد، بني زريق وبني النجار وبني سالم وبني عبد الأشهل، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفى غليل صدور المؤمنين وآل عثمان.

ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه، ونزل فأحرق دوراً كثيرة، منها دار زرارة بن حرون، ودار رفاعة بن رفاع، ودار أبي أيوب الأنصاري، وتفقد جابر بن عبدالله، فقال: مالي لا أرى جابراً! يا بني سلمة، لا أمان لكم عندي، أو تأتوني بجابر!

وقام بسر بجرائم وفضائع أخرى في مكة واليمن وجميع الأمصار الّتي مرّ بها، ومن جرائمه قتله ابنَي عبيدالله بن العباس.

فلمّا سمع عليّ(عليه السلام) بجرائمه دعا عليه وقال: اللّهمّ إن بسراً باع دينه بالدنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوف فاجر آثر عنده مما عندك. اللّهمّ فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللّهمّ العن بسراً وعمراً ومعاوية وليحل عليها غضبك، ولتنزل بهم نقمتك وليصبهم باسك ورجزك الّذي لا ترده عن القوم المجرمين. فلم يلبث بسر بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى وسوس وذهب عقله، فكان يهذى بالسيف، ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة، فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات(19).

[11]

بيع الدين بالدنيا

لما نزل عليّ(عليه السلام) الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة، أرسل فيه جرير بن عبدالله البجلي، فقدم عليه به الشام، فقرأه واغتم بما فيه، وذهبت به أفكاره كلّ مذهب، وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب، حتى كلّم قوماً

من أهل الشام في الطلب بدم عثمان، فأجابوه ووثقوا له، وأحب الزيادة في الاستظهار فاستشار بأخيه عتبة بن أبي سفيان، فقال له: استعن بعمرو بن العاص، فإنّه من قد علمت في دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمرك أشد اعتزالا، ألا أن يثمن له دينه فسيبيعك، فإنّه صاحب دنيا. فكتب إليه معاوية يدعوه للقدوم إلى الشام، فلما قدم عمرو قال له معاوية: يا أبا عبدالله، إنّي أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الّذي عصى الله وشقّ عصا المسلمين، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة وقطع الرحم!

فقال عمرو: من هو؟

قال: عليّ.

قال: والله يا معاوية ما أنت وعليّ بحملي بعير، ليس لك هجرته ولا سابقته، ولا صحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه. ووالله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره، ولكني قد تعودت منالله تعالى احساناً وبلاء جميلا، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟

قال: حكمك، فقال: مصر طعمة. فتلكأ عليه معاوية.

ثمّ قال له: يا أبا عبدالله، إنّي أكره لك أن تتحدث العرب عنك أ نّك إنّما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا.

قال عمرو: دعني عنك، فقال معاوية: إنّي لو شئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت. قال عمرو: لا، لعمر الله ما مثلي يخدع، لأنا أكيس من ذلك. قال معاوية: أدن مني أسارك، فدنا منه عمرو ليساره، فعض معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة! هل ترى في البيت أحداً ليس غيري وغيرك!

عندما وصل الخبر إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) قال ضمن خطبة له:

«وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهِ عَلَى البَيْعَةِ ثَمَناً، فَلاَ ظَفِرَتْ يَدُ المبايِعِ، وخَزِيَتْ أَمَانَةُ المُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلاَ سَنَاهَا، واستشعروا الصبر، فإنّه أدعى إلى النص»(20).

(1) البقرة: 34.

(2 و 3) الأعراف: 12 و13

(4) نهج البلاغة: 2/140 خ 91.

(5) نهج البلاغة: 1/20.

(6) يعتقد البعض ان الجنّة الّتي كان فيها آدم هي جنّة الخلد، وهذا القول غير سليم حيث تنفيه الكثير من الروايات منها ما روي عن أبي عبدالله(عليه السلام) بعد أن سئل عن جنّة آدم، فقال: جنّة من جنان الدنيا، يطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً. نور الثقلين 1: 62.

(7) الميزان 1: 193 - 197.

(8) السواد: العراق، وسمي سواداً لخضرته بالزرع والأشجار.

(9) نهج البلاغة: 1/30.

(10) اللتيا والّتي: أي أبعد اللتيا والّتي أجزع! أبعد أن قاسيت الأهوال الكبار والصغار، ومنيت بكلّ داهية عظيمة وصغيرة فالتيا الصغيرة والّتي الكبيرة.

(11) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/213.

(12) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/247.

(13) الجمل: 158.

(14) نهج البلاغة: 1/44.

(15) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/270.

(16) شرح نهج البلاغة: 1/272.

(17) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/291.

(18) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/5.

(19) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/5.

(20) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/60.

[12]

خطبة نارية تحثّ على الجهاد

استطاع معاوية أن يهيّىء جيشه للقتال، فلما انتهى إلى الإمام عليّ(عليه السلام)أن خيلا لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملا له يقال له: «حسان بن حسان البكري» فخرج مغضباً يجر ثوبه حتى أتى النخيلة وأتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ قال:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلاَءُ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالقَمَاءُ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالإِسْهَابِ، وَأُدِيلَ الحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ، وَسِيمَ الخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ.

أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلاَءِ القَوْمِ لَيْلا وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ.وَهذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ ورجالا منهم كثيراً ونساء، والّذي نفسي بيده لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالمُعَاهَدَةِ، فَتَنْتَزِعُ أحِجْالَهَما وَرعثهما ،ثُمَّ انْصَرَفُوا موفِورِينَ، لمَ يكلم أحد منهم كلما، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن دون هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً!

يَا عَجَباً! كلّ العَجَب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم! إذا قلت لكم اغزوهم فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هذا أوان قر وصر! وإذا قلت لكم: اغزوهم فى الصيف قلتم: هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا! فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ! ويا طغام الأحلام، وَيا عُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ، ـ وَاللهِ ـ لقد أفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفي غيظاً حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِب رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلْكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ. للهِ درهم! ومن ذا يكون أعلم بها وأشد لها مراساً مني فو الله لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، ولقد نيفت اليوم عَلَى السِّتِّينَ! وَلكِنْ لا رَأْيَ لَمِنْ لاَ يُطَاعُ!»(1).

قال سفيان بن عوف الغامدي: دعاني معاوية، فقال: إنّي باعثك في جيش كثيف، ذي أداء وجلادة، فالزم لي جانب الفرات، حتى تمر بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم، وإلاّ فامض حتى تغير على الأنبار،فإن لم تجد بها جنداً فامض حتى توغل في المدائن. ثمّ أقبل إليَّ واتق أن تقرب الكوفة. واعلم أ نّك إن أعرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأ نّك أغرت على الكوفة. إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كلّ من له فينا هوى منهم، وتدعو الينا كلّ من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، وأخرب كلّ ما مررت به من القرى، واحرب الأموال، فإنّ حرب الأموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب.

قال: فخرجت في ستة آلاف، ثمّ لزمت شاطىء الفرات، فأغذذت السير حتى أمر بـ «هيت»، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها وما بها عريب، كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتى أمر بصندوداء، ففروا فلم ألق بها أحداً، فأمضي حتى أفتتح الأنبار، وقد نذروا بي، فخرج صاحب المسلحة إليَّ، فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل القرية، فقلت لهم: أخبروني، كم بالأنبار من أصحاب عليّ(عليه السلام)؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم قد تبددوا ورجعوا إلى الكوفة، ولا ندري الّذي يكون فيها، قد يكون مائتي رجل، فنزلت فكتبت أصحابي كتائب،أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلهم والله ويصبر لهم، ويطاردهم

ويطاردونه في الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين، وأتبعتهم الخيل، فلما حملت عليهم الخيل وأمامها الرجال تمشي، لم يكن شيء حتى تفرقوا وقتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلا، وحملنا ما كان في الأنبار من الأموال، ثمّ انصرفت، فو الله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون، ولا أسر للنفوس منها. وبلغني والله أنها أرعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية، حدثته الحديث على وجهه، فقال: كنت عند ظني بك، لا تنزل في بلد من بلداتي إلاّ قضيت فيه مثل ما يقضي فيه أميره، وإن أحببت توليته وليتك، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني.

قال حبيب بن عفيف: كنت مع أشرس بن حسان البكري بالأنبار على مسلحتها، إذ صبحنا سفيان بن عوف في كتائب تلمع الأبصار منها، فهالوها والله، وعلمنا إذ رأيناهم أ نّه ليس لنا طاقة بهم ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا، وأيم الله لقد قاتلناهم فأحسنا قتالهم، حتى كرهونا، ثمّ نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا)(2).

ثمّ قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله، ولا يطيب نفساً بالموت، فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم، فإن قتالنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار. ثمّ نزل في ثلاثين رجلا، فهممت بالنزول معه، ثمّ أبت نفسي واستقدم هو وأصحابه، فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله.

فلما وصل الخبر إلى الإمام عليّ(عليه السلام) صعد المنبر فخطب الناس، وقال: إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، وهو معتز لا يخاف ما كان، واختار ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا.

ثمّ سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم منهم متكلم، فلم ينبس أحد منهم بكلمة، فلما رأى صمتهم نزل، وخرج يمشي راجلا حتى أتى النخيلة، والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم، فقالوا: ارجع يا أميرالمؤمنى ونحن نكفيك، فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو واجم كئيب(3).

وكان الإمام(عليه السلام) في مطلع هذه الخطبة يحثّهم على الجهاد وكان ممّا قال لهم: قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً.

[13]

تضحية أخوين

في خطبة الإمام السابقة، ختم الإمام(عليه السلام) خطبته قائلا: والله لقد أفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان، ولقد ملأتم جوفي غيظاً ـ إلى أن قال: ـ فو الله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع ـ يقولها ثلاثاً ـ .

فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أميرالمؤمنين، أنا وأخي هذا كما قال الله عزّوجلّ حكاية عن موسى: (رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إلا نَفْسِي وَأَخِي)(4) فمرنا بأمرك فو الله لننتهين إليه ولو حال بينا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد. فدعا له بخير، ثمّ قال: وأين تقعان مما أُريد؟! ثمّ نزل(5).

[14]

اعلان التعبئة

عندما استمرّت الأخبار تتوارد على الإمام(عليه السلام) بغارات معاوية على الأنبار وغيرها من البلدان الإسلامية، وقف خطيباً في أهل العراق قائلا:

أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالاسهاب، وأديل الحقّ منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً، وسراً واعلاناً وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلاّ ذلّوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان(6).

قال: ثمّ أمر الحارث الأعوار الهمداني، فنادى في الناس: أين من يشتري نفسه لربّه ويبيع دنياه بآخرته؟ أصبحوا غداً بالرحبة إن شاء الله، ولا يحضر إلاّ صادق النية في السير معنا، والجهاد لعدونا فأصبح وليس بالرحبة إلاّ دون ثلاثمائة، فلما عرضهم قال: لو كانوا ألفاً كان لي فيهم رأي. وأتاه قوم يعتذرون، فقال: وجاء المعذرون وتخلف المكذبون. ومكث أياماً بادياً حزنه شديد الكآبة(7).

[15]

رجل عمل لا قول

روى إبراهيم بن محمّد في كتاب «الغارات» قال: كانت غارة الضحاك بن قيس بعد الحكمين، وقبل قتال النهروان، وذلك أن معاوية لما بلغه أن عليّاً(عليه السلام) بعد واقعة الحكمين تحمل إليه مقبلا، هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكراً، وبعث إلى كور الشام، فصاح بها: إن عليّاً قد سار إليكم، فتجهزوا للحرب بأحسن الجهاز، وأعدوا آلة القتال! فاجتمع إليه الناس من كلّ كورة وأرادوا المسير إلى صفين، فاستشهارهم، وقال: إن عليّاً قد خرج من الكوفة، وعهد العاهد به أ نّه فارق النخيلة.

فعند ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى، ولا تقيمن لخيل بلغك أ نّها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف. فأقبل الضحاك، فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب، حتى مر بالثعلبية فأغار على الحاج، فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل فلقي عمرو بن عميس، وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود، صاحب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة(8) وقتل معه ناساً من أصحابه.

فلما سمع الإمام(عليه السلام) الخبر خرج إلى الناس، وهو يقول على المنبر: يا أهل الكوفة، اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس، وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردوا عليه ردّاً ضعيفاً، ورأى منهم عجزاً وفشلا، فقال: والله لوددت أن لي بكلّ ثمانية منكم رجلا منهم! ويحكم اخرجوا معي، ثمّ فروا عني ما بدا لكم، فو الله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم. ثمّ نزل.

فخرج يمشي حتى بلغ الغريين، ثمّ دعا حجر بن عدي الكندي، فعقد له على أربعة آلاف.

فخرج حجر بن عدي حتى مر بالسماوة ـ وهي أرض كلب ـ فلقي بها امرأ لقيس بن عدي ـ وهم أصهار الحسين بن عليّ(عليه السلام) ـ فكانوا أدلاءه في الطريق وعلى المياه فلم يزل مغذاً في أثر الضحاك، حتى لقيه بناحية تدمر، فواقعه فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الشحاك تسعة عشر رجلا، وقتل من أصحاب حجر رجلان، وحجز الليل بينهم. فمضى الضحاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه إثراً. وكان الضحاك يقول بعد: أنا ابن قيس، أنا أبو أنيس! أنا قاتل عمرو بن عميس.

وكان ممّا جاء في خطبته(عليه السلام) أيضاً:

«أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلامُكُم يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ، دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ، لاَ يَمنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ! وَلاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلاَ بِالْجِدِّ! أَيَّ دَار بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَام بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَبِكُمْ فَازَ بَالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِل.

أَصْبَحْتُ وَاللهِ لا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلاَ أُوعِدُ العَدُوَّ بِكُم. مَا بَالُكُم؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقَوْلا بَغَيْرِ عِلْم! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَع! وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقّ؟!»(9).

[16]

عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق

لما نزل عليّ(عليه السلام) بالبصرة ووقف جيشه بإزاء جيش عائشة، قال الزبير: والله ما كان أمر قط إلاّ عرفت أين أضع قدمي فيه، إلاّ هذا الأمر، فإنّي لا أدري: أمقبل أنا فيه أم مدبر!

فقال له ابنه عبدالله: كلا ولكنك فرقت سيوف ابن أبي طالب وعرفت أن الموت الناقع تحت راياته.

فقال الزبير: مالك أخزاك الله من ولد ما أشأمك!

وكان أميرالمؤمنين(عليه السلام)، يقول: مازال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبدالله.

وفي المعركة: برز عليّ(عليه السلام) بين الصفين حاسراً، وقال: ليبرز إليَّ الزبير، فبرز إليه مدججاً ـ فقيل لعائشة: قد برز الزبير إلى عليّ(عليه السلام)فصاحت: وازبيراه! فقيل لها: لا بأس عليه منه، إنه حاسر والزبير دارع ـ فقال له: ما حملك يا أبا عبدالله على ما صنعت!

قال: أطلب بدم عثمان.

قال: أنت وطلحة وليتماه، وإنّما نوبتك من ذلك أن تقيد به نفسك وتسلمها إلى ورثته.

ثمّ قال: نشدتك الله! أتذكر يوم مررت بي ورسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) متكىء على يدك، فسلّم عليَّ وضحك في وجهي، فضحكت إليه، لم أزده على ذلك، فقلت: لا يترك ابن أبي طالب يا رسول الله زهوة!

فقال لك: مه إنه ليس بذي زهو، أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم!

فاسترجع الزبير وقال: لقد كان ذلك، ولكن الدهر أنسانيه، ولأنصرفن عنك، فرجع، ثمّ أتى عائشة، فقال لها: إني ما وقفت موقفاً قط، ولا شهدت حرباً إلاّ ولي فيه رأي وبصيرة إلاّ هذه الحرب، وإنّي لعلى شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي.

فقالت له: يا أبا عبدالله، أظنك فرقت سيوف ابن أبي طالب، إنها والله سيوف حداد، معدة للجلاد، تحملها فئة أنجاد، ولئن فرقتها لقد فرقها الرجال قبلك!

قال: كلا، ولكنه ما قلت لك. ثمّ انصرف.

ومن كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) لما أنفذ عبدالله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته:

«لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ، وَلكِنِ القَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بَالحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا!».

قال جعفر الصادق، عن أبيه عن جدّه(عليهم السلام) قال: سألت ابن عباس عن ذلك، فقال: إنّي قد أتيت الزبير، فقلت له، فقال: قل له إنّي أريد ما تريد ـ كأ نّه يقول: الملك ـ لم يزدني على ذلك.

فرجعت إلى عليّ(عليه السلام) فأخبرته(10).

[17]

خاصف النعل

قال عبدالله بن العباس: دخلت على أميرالمؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها.

فقال(عليه السلام): والله لهي أحب إليَّ من إمرتكم، إلاّ أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلا، ثمّ خرج فخطب الناس فقال:

«إِنَّ اللهَ سُبحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً(صلى الله عليه وآله وسلم)، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ صِفَاتُهُمْ.

أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ،وَلاَ جَبُنْتُ، وَإِنَّ مَسِيرِي هذَا لِمِثْلِهَا، فَلاَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ»(11).

[18]

أمّا الدين أو الغيرة

ذكر صاحب الغارات أنّ النعمان بن بشير، قدم هو وأبو هريرة على عليّ(عليه السلام) من عند معاوية، بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان، فدخلا عليه، فقال له أبو هريرة: يا أبا حسن، أن الله قد جعل لك في الإسلام فضلا وشرفاً، أنت ابن عم محمّد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد بعثنا إليك ابن عمّك معاوية، يسألك أمراً تسكن به هذه الحروب، ويصلح الله تعالى ذات البين، أن تدفع إليه قتلة عثمان ابن عمه، فيقتلهم به، ويجمع الله تعالى أمرك وأمره، ويصلح بينكم، وتسلم هذه الأمة من الفئة والفرقة. ثمّ تكلم النعمان بنحو من ذلك.

فقال لهما: دعا الكلام في هذا، حدثني عنك يا نعمان: أنت أهدى قومك سبيلا؟ يعني الأنصار، قال: لا، قال: فكلّ قومك قد اتبعني إلاّ شذاذاً، منهم ثلاثة أو أربعة، أفتكون أنت من الشذاذ!

فقال النعمان: أصلحك الله، إنما جئت لأكون معك وألزمك، وقد كان معاوية سألني أن أؤدي هذا الكلام، ورجوت أن يكون لي موقف أجتمع فيه معك، وطمعت أن يجري الله تعالى بينكما صلحاً، فإذا كان غير ذلك رأيك فأنا ملازمك وكائن معك. فأما أبو هريرة فلحق

بالشام، وأقام النعمان عند عليّ(عليه السلام)، فأخبر أبو هريرة معاوية بالخبر، فأمره أن يعلم الناس، ففعل، وأقام النعمان بعده شهراً، ثمّ خرج فاراً من عليّ(عليه السلام)، حتى إذا مر بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل عليّ(عليه السلام) عليها فأراد حبسه، وقال له: ما مر بك بيننا؟ قال: إنّما أنا رسول بلغت رسالة صاحبي، ثمّ انصرفت، فحبسه وقال: كما أنت، حتى أكتب إلى عليّ فيك فناشده، وعظم عليه أن يكتب إلى عليّ فيه، فأرسل النعمان إلى قرظة بن كعب الأنصاري وهو كاتب عين التمر يجبى خراجها لعليّ(عليه السلام) فجاءه مسرعاً، فقال لمالك بن كعب: خل سبيل ابن عمي يرحمك الله! فقال: يا قرظة، اتق الله ولا تتكلم في هذا، فإنّه لو كان من عباد الأنصار ونساكهم، لم يهرب من أميرالمؤمنين إلى أمير المنافقين. فلم يزل به يقسم عليه حتى خلى سبيله، وقال له: يا هذا، لك الأمان اليوم والليلة وغداً، والله إن أدركتك بعدها لأضربن عنقك، فخرج مسرعاً لا يلوى على شيء، حتى وصل إلى معاوية.

ثمّ انّ معاوية انتدب النعمان وندب معه ألفي رجل، وأوصاه أن يتجنب المدن والجماعات، وألا يغير إلاّ على مسلحة. وأن يعجل الرجوع. فأقبل النعمان بن بشير، حتى دنا من عين التمر، وبها مالك بن كعب الأرحبي الّذي جرى له معه ما جرى، ومع مالك ألف رجل، وقد أذن لهم، فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلاّ مائة أو نحوها، فكتب مالك إلى عليّ(عليه السلام): أمّا بعد، فإنّه نزل بنا النعمان بن بشير في جمع من أهل الشام، كالظاهر علينا، وكان عظم أصحابي متفرقين، وكنا للذي كنا منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجالا مصلتين، فقاتلناهم حتى المساء واستصرخنا مخنف بن سليم، فبعث الينا رجالا من شيعة أميرالمؤمنين وولده، فنعم الفتى ونعم الأنصار كانوا، فحملنا على عدونا وشددنا عليهم، فأنزل الله علينا نصره، وهزم عدوه، وأعز جنده والحمد لله ربّ العالمين(12).

وكان الإمام(عليه السلام) قد خطب بأصحابه يستحثّهم القتال ـ وذلك قبل أن تصله البشرى بالنصر ـ، وكان ممّا قاله(عليه السلام): «مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لاَ أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ؟! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وَأُنادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلاَ تَسْمَعُونَ لي قَوْلا، وَلاَ تُطِيعُون لِي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَساءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»(13).

[19]

حادثة الحكمين

إن الّذي دعا إليه طلب أهل الشام له، واعتصامهم به من سيوف أهل العراق، فقد كانت إمارات القهر والغلبة لاحت، ودلائل النصر والظفر وضحت، فعدل أهل الشام عن القراع إلى الخداع، وكان ذلك برأي عمرو بن العاص. وهذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير، وهي الليلة العظيمة الّتي يضرب بها المثل.

قال حدّثني عمّار بن ربيعة: غلس عليّ(عليه السلام) بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء، عاشر شهر ربيع الأول، سنة سبع وثلاثين، ثمّ زحف إلى أهل الشام بعكسر العراق، والناس على راياتهم وأعلامهم، وزحف إليهم أهل الشام، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين، ولكنها في أهل الشام أشد نكاية، وأعظم وقعاً، فقد ملوا الحرب، وكرهوا القتال، وتضعضعت أركانهم.

فلما بلغ القوم إلى ما بلغوا إليه، قام عليّ(عليه السلام) خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس، قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس، وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم

ما بلغنا، وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله.

فبلغ ذلك معاوية، فدعا عمرو بن العاص، وقال: يا عمرو، إنّما هي الليلة، حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل، فما ترى؟ قال: إن رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله، هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم، ولكن ألق إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنك بالغ به حاجتك في القوم، وإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرف معاوية ذلك وقال له: صدقت.

فلما أصبحوا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباه الرايات، أمام أهل الشام في وسط الفيلق، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدوا ثلاثة أرماح جميعاً، وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم، يمسكه عشرة رهط.

ثمّ نادوا: يا معشر العرب، الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال عليّ(عليه السلام): اللّهمّ إنّك تعلم أ نّهما ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحقّ المبين.

فاختلف أصحاب عليّ(عليه السلام) في الرأي، فطائفة قالت القتال، وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحل لنا الحرب، وقد دعينا إلى حكم الكتاب، فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها.

قال نصر: وقد كان الأشعث بن قيس بدر منه قول ليلة الهرير، نقله الناقلون إلى معاوية، فاغتنمه وبنى عليه تدبيره، وذلك أن الأشعث خطب أصحابه من كنده تلك الليلة، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، واستنصره وأستغفره، وأستجيره وأستهديه، وأستشيره وأستشهد به، فإنّ من هداه الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ قال: قد رأيتم معاشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فو الله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ، فما رأيت مثل هذا اليوم قط. ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إنا نحن إن توافقنا غداً، إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات! أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب، ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غداً إن فنينا.

قال الشعبي: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال: أصاب وربّ الكعبة! لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذراري أهل الشام ونسائهم، ولتميلن فارس على ذراري أهل العراق ونسائهم! إنّما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى، ثمّ قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا.

فثار أهل الشام في سواد الليل ينادون عن قول معاوية وأمره: يا أهل العراق، من لذرارينا إن قتلتمونا! ومن لذراريكم إذا قتلناكم! الله الله في البقية! وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون أبيض، وقد وضع المصحف على رأسه، ينادي: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم، فجاء عدي بن حاتم الطائي، فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّه لم يصب منا عصبة إلاّ وقد أصيب منهم مثلها، وكل مقروح، ولكنا أمثل بقية منهم، وقد جزع القوم، وليس بعد الجزع إلاّ ما نحب، فناجزهم وقام الأشتر، فقال: يا أميرالمؤمنين، إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولكن بحمد الله لك الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرك، فاقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

ثمّ قام عمرو بن الحمق، فقال: يا أميرالمؤمنين، إنا والله ما أجبناك ولا نصرناك على الباطل، ولا أجبنا إلاّ الله، ولا طلبنا إلاّ الحقّ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه لاستشرى فيه اللجاج وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحقّ مقطعه، وليس لنا معك رأي.

فقام الأشعث بن قيس مغضباً، فقال: يا أميرالمؤمنين، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوله، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام مني! فأجب القوم إلى كتاب الله عزّوجلّ فإنك أحق به منهم، وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال.

فقال عليّ(عليه السلام): هذا أمر ينظر فيه. فتنادى الناس من كلّ جانب الموادعة.

فقال عليّ(عليه السلام): أيها الناس، إنّي أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالا، فكانوا شر صغار، وشر رجال، ويحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل! إنّهم ما رفعوها أ نّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة! أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد، شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: ياعليّ، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم!

فقال لهم: ويحكم! أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي، ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أ نّهم قد كادوكم، وأ نّهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم، فصاح: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم، وظنوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها! وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وتركوا سنّة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم! أمهلوني فواقاً فإني قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا نمهلك، قال: فأمهلوني عدوة الفرس، فإني قد طمعت في النصر، قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

وكتب معاوية إلى عليّ(عليه السلام): أمّا بعد، فإنّ هذا الأمر قد طال بيننا وبينك، وكل واحد منا يرى أ نّه على الحقّ فيما يطلب من صاحبه، ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير، وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى، وإنا سوف نسأل عن هذه المواطن، ولا يحاسب به غيري وغيرك، وقد دعوتك إلى أمر لنا ولك فيه حياة وعذر، وبراءة وصلاح للأُمة، وحقن للدماء، وألفه للدين، وذهاب للضغائن والفتن، أن نحكم بيني وبينكم حكمين مرضيين، أحدهما من أصحابي، والآخر من أصحابك، فيحكمان بيننا بما أنزل الله، فهو خير لي ولك، وأقطع لهذه الفتن.

فكتب إليه عليّ(عليه السلام): من عبدالله عليّ أميرالمؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد، فإنّ أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حسن به فعله، واستوجب فضله، وسلم من عيبه، وإن البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه، فاحذر الدنيا، فإنّه لا فرح في شيء وصلت إليه منها، ولقد علمت أ نّك غير مدرك ما قضي فواته، وقد رام قوم أمراً بغير الحقّ، وتأولوه على الله عزّوجلّ، فأكذبهم ومتعهم قليلا، ثمّ أضطرهم إلى عذاب غليظ.

ثمّ انّ عليّاً(عليه السلام) بعث قراء من أهل العراق، وبعث معاوية قراء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين، ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوا واجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، ويميتوا ما أمات القرآن، ورجع كل فريق إلى صاحبه، فقال أهل الشام: إنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رضينا نحن واخترنا أبو موسى الأشعري. فقال لهم عليّ(عليه السلام): فإنّي لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه، فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة من القراء: إنا لا نرضى إلاّ به، فإنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه. فقال عليّ(عليه السلام): فإنه ليس لي برضا،

وقد فارقني وخذّل الناس عني، وهرب مني حتى أمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك. قالوا: والله ما نبالي، أكنت أنت أو ابن عباس! ولا نريد إلاّ رجلا هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر!

فقال عليّ(عليه السلام): قد أبيتم إلاّ أبا موسى! قالوا: نعم، قال: فاصنعوا ما شئتم.

فلما رضي أهل الشام بعمرو، وأهل العراق بأبي موسى، أخذوا في سطر كتاب الموادعة، وكانت صورته: هذا ما تقاضى عليه عليّ أميرالمؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان.

فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أ نّه أميرالمؤمنين ثمّ قاتلته! وقال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه، إنما هو أميركم، فأمّا أميرنا فلا، فلما أُعيد إليه الكتاب أمر بمحوه.

وكان من نتيجة التخاذل هذا أن خلع أبا موسى الأشعري الإمام عليّ(عليه السلام) ومعاوية، فيما خلع عمرو بن العاص الإمام عليّ(عليه السلام) وأثبت معاوية(14).

[20]

الصبر والتحمّل الثوري

لما قدم عليّ(عليه السلام) الكوفة بعد انقضاء أمر الجمل، كاتب العمال، فكتب إلى جرير بن عبدالله البجلي مع زحر بن قيس الجعفي ـ وكان جرير عاملا لعثمان على ثغر همذان ـ فلما قرأ جرير الكتاب، قام فقال: أيها الناس، هذا كتاب أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، وهو المأمون على الدين والدنيا، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه، وقد بايعه الناس الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها. ألا وإن البقاء في الجماعة، والفناء في الفرقة وإن عليّاً حاملكم على الحقّ ما استقمتم، فإن ملتم أقام ميلكم. فقال الناس: سمعاً وطاعة، رضينا رضينا. فكتب جرير إلى عليّ(عليه السلام) جواب كتابه بالطاعة.

ثمّ انّ جرير ذهب بكتاب عليّ(عليه السلام) إلى معاوية، وحاول مع معاوية من أجل التراجع عن موقفه فلم يفلح معه، فرجع إلى الكوفة.

فلما رجع كثر قول الناس في التهمة له في أمر معاوية(15).

وكان أصحاب الإمام(عليه السلام) قد أشاروا عليه بالاستعداد لحرب أهل الشام. بعد إرساله إلى معاوية بجرير بن عبدالله. فقال(عليه السلام): إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم، إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً والرأي مع الاناة فأرودوا، ولا أكره لكم الاعداد ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أر فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء به محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)(16).

[21]

تسرّع الجاهل

كان الخريت بن راشد الناجي ـ أحد بني ناجية ـ مع أميرالمؤمنين(عليه السلام)في صفين ثمّ نقض عهده بعد صفين ونقم عليه في التحكيم وخرج يفسد الناس ويدعوهم للخلاف، فبعث إليه أميرالمؤمنين(عليه السلام) كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي لقتاله وهو ومن انضم إليه، فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس، وبعد دعوته إلى التوبة وإبائه قبولها شدت عليه فقتل وقتل معه كثير من قومه وسبي من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان فكانوا خمسمائة أسير.

ولما رجع معقل بالسبي مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني وكان عاملا لعليّ(عليه السلام) على «أردشير خره»(17) فبكى إليه النساء والصبيان وتصايح الرجال يستغيثون في فكاكهم فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم امتنع من أداء المبلغ.

ولما ثقلت عليه المطالبة بالحقّ لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل(18).

وكان ممّا قاله أميرالمؤمنين(عليه السلام) لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية:

قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ. فَعَلَ فِعْلَ السَّادَات وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَو أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وَانْتَظَرْنا بِمَالِهِ وُفُورَهُ(19).

[22]

خبر غيبي

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) في ذكر الكوفة الّتي تنبأ(عليه السلام) بما سيحل بها من الظالمين فقال: كَأَنِّي بِكِ يَاكُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ مَاأَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلاَّ ابْتَلاَهُ اللهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ(20).

وقد صدقت الحوادث نبوءته، فقد تعاقب على الكوفة سلسلة من ولاة الجور، وأعوان الظلمة، أذاقوها الصاب وساموها العذاب، فزياد ابن أبيه، وعبيدالله بن زياد، والحجاج، ويوسف بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وخالد بن عبدالله القسري وأضرابهم. كلّهم أقاموا الحكم في الكوفة على ركام من الجماجم وأنهار من الدماء.

[23]

خبر الجمجمة

قدم أميرالمؤمنين(عليه السلام) المدائن، فنزل بإيوان كسرى، وكان معه دلف بن مجير، فلمّا صلّى قام وقال لدلف: قم معي، وكان معهم جماعة من أهل ساباط، فما زال يطوف منازل كسرى ويقول لدلف: كان لكسرى في هذا المكان كذا وكذا، ويقول دلف: هو والله كذلك، فما زال كذلك حتى طاف المواضع بجميع من كان عنده، ودلف يقول: يا سيّدي ومولاي كأنّك وضعت هذه الأشياء في هذه المساكن.

ثمّ نظر(عليه السلام) إلى جمجمة نخرة فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمة ـ وكانت مطروحة ـ ، ثمّ جاء(عليه السلام) إلى الإيوان وجلس فيه، ودعا بطست فيه ماء، فقال له: دع هذه الجمجمة في الطست، ثمّ قال(عليه السلام): قسمت عليك يا جمجمة لتخبريني مَنً أنا ومَنْ أنت؟

فقالت الجمجمة بلسان فصيح: أمّا أنت فأميرالمؤمنين، وسيّد الوصيّين، وإمام المتّقين، وأمّا أنا فعبدك وابن عبدك وابن أمتك كسرى أنوشيروان.

فقال له أميرالمؤمنين(عليه السلام): كيف حالك؟

فقال: يا أميرالمؤمنين أ نّي كنت ملكاً عادلا شفيقاً على الرعايا، رحيماً لا أرضى بظلم، ولكن كنت على دين المجوس، وقد ولد محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) في زمان ملكي فسقط من شرفات قصري ثلاث وعشرون شرفة ليلة ولد، فهممت أن أؤمن به من كثرة ما سمعت من الزيادة من أنواع شرفه وفضله، ومرتبته وعزّه في السماوات والأرض، ومن شرف أهل بيته، ولكنّي تغافلت عن ذلك، وتشاغلت عنه في الملك، فيالها من نعمة ومنزلة ذهبت منّي، حيث لم أؤمن به فأنا محروم من الجنّة لعدم إيماني، ولكنّي مع هذا الكفر خلّصني الله تعالى من عذاب النار ببركة عدلي وإنصافي بين الرعية، فأ نّا في النار، والنار محرّمة عليَّ، فواحسرتاه لو آمنت به لكنت معك يا سيّد أهل بيت محمّد، ويا أمير أُمّته.

قال: فبكى الناس وانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل ساباط إلى أهلهم، وأخبروهم بما كان وبما جرى من الجمجمة، فاضطربوا واختلفوا في معنى أميرالمؤمنين(عليه السلام)، فقال المخلصون منهم: انّ أميرالمؤمنين(عليه السلام)عبدالله ووليّه ووصي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال بعضهم: بل هو النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال بعضهم: بل هو الربّ، ولولا أ نّه الربّ وإلاّ كيف يحيي الموتى.

قال: فسمع بذلك أميرالمؤمنين(عليه السلام) فضاق صدره وأحضرهم وقال: يا قوم غلب عليكم الشيطان إن أنا إلاّ عبدالله أنعم عليَّ بإمامته وولايته ووصيّة رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فأرجعوا عن الكفر، فأنا عبدالله وابن عبده، ومحمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) خير منّي وهو أيضاً عبدالله، وإن نحن إلاّ بشر مثلكم، فخرج بعض من الكفرة وبقي قوم على الكفر ما رجعوا، فألحّ عليهم أميرالمؤمنين(عليه السلام) بالرجوع فما رجعوا، فأحرقهم بالنار، وتفرّق منهم قوم في البلاد وقالوا: لولا أنّ فيه من الربوبيّة وإلاّ فما كان أحرقنا بالنار، فنعوذ الله من الخذلان(21).

(1) معاني الأخبار: 309.

(2) الأحزاب: 23.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: 2/85.

(4) المائدة: 25.

(5) معاني الأخبار: 310.

(6) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: 2/74.

(7) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/89.

(8) القطقطانة:بالضم ثمّ السكون موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف.

(9) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/113.

(10) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/162 - 165.

(11) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/185.

(12) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/301.

(13) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/300.

(14) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/206 وما بعدها ـ باختصار ـ .

(15) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 3/70.

(16) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/322.

(17) أردشير خرة: كورة من كور فارس.

(18) انظر قصة هربه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/65.

(19) نهج البلاغة: 1/95.

(20) نهج البلاغة: 1/97.

(21) بحار الأنوار 41: 213 ح 27.

والحديث كماترى يتضمّن قول أنوشيروان بأ نّه كان ملكاً عادلا ـ وهو في النار ـ والنار محرّم عليه، وبالرجوع إلى تاريخ هذا الملك يتّضح لنا أ نّه كان من أشدّ الملوك ظلماً للناس من سلفه الطالح، على أنّ رجال سنده مجاهيل لا يعرفون، مضافاً إلى أنّ الناس لم يكونوا مكلّفين بقوانين الإسلام قبل بعثه(صلى الله عليه وآله وسلم) والله لا يعذّب أحداً قبل إتمام الحجّة وإرسال الرسل.

[24]

الموت بعزّ أفضل من العيش بذلّ

كان نزول عليّ(عليه السلام) بصفين لليالي بقين من ذي الحجة سنة ست وثلاثين. وكان أبو الأعور السلمي على مقدمة معاوية، وكان قد ناوش مقدمة عليّ(عليه السلام) وعليها الأشتر النخعي مناوشة ليست بالعظيمة، ثمّ انصرف أبو الأعور عن الحرب راجعاً، فسبق إلى الماء فغلب عليه في الموضع المعروف بقناسرين إلى جانب صفين، وساق الأشتر يتبعه، فوجده غالباً على الماء، وكان في أربعة آلاف من أهل العراق، فدعا الأشتر بالحارث بن همام النخعي فأعطاه لواءه ثمّ صاح الأشتر في أصحابه فدتكم نفسي شدوا شدة المحرج الراجي للفرج فإذا نالتكم الرماح التووا فيها فإذا عضتكم السيوف فليعض الرجل على ناجذه فإنّه أشد لشؤون الرأس ثمّ استقبلوا القوم بهامكم.

وعن صعصعة قال: أقبل الأشتر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء وحمل أبو الأعور وحمل الأشتر عليه فلم ينتصف أحدهما صاحبه.

وقال عمرو بن العاص لمعاوية، لما ملك أهل العراق الماء: ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك الماء كما منعتهم أمس أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة؟

فقال له معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنك بعليّ بن أبي طالب؟

قال: ظني أ نّه لا يستحل منك ما استحللت منه وأن الّذي جاء له غير الماء.

وقال أصحاب عليّ(عليه السلام) له: أمنعهم الماء يا أميرالمؤمنين كما منعوك.

فقال: لا خلوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون فسنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فإن أجابوا وإلاّ ففي حد السيف ما يغني إن شاء الله.

قال: فو الله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام ورواياهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسان إنساناً(1).

وكان ممّا قاله الإمام(عليه السلام) لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات:

«قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّة، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّة، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالمَوْتُ في حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.

أَلاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ»(2).

[25]

الشجاعة في خدمة الهدف

اكمالا للقصّة السابقة: فإنّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) لما ملك الماء بصفين ثمّ سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة، رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالة لقلوبهم وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أميرالمؤمنين، خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً، ائذن لنا في القتال، فإن الناس قد قالوا.

قال لهم(عليه السلام): ما قالوا؟ فقال منهم قائل:إن الناس يظنون أ نّك تكره الحرب كراهية للموت، وإن من الناس من يظن أ نّك في شك من قتال أهل الشام.

فقال(عليه السلام): ومتى كنت كارهاً للحرب قط! إنّ من العجب حبي لها غلاماً يافعاً، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت! وأمّا شكي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلاّ القتال أو أن أعصي الله ورسوله، ولكني أستاني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس.

وقد جاء في الروايات: انّه(عليه السلام) قال لما قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة:

أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الـمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الـمُفَاخَرَةِ.

أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاح، أوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الـمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ المَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي! وَاللهِ لاَبْنُ أَبي طَالِب آنَسُ بالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْم لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ(3).

وأخرج الطبرسي بأنّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) كان يطوف بين الصفين بصفين، فقال له الحسن(عليه السلام): ما هذا زي الحرب، فقال(عليه السلام): يا بني! إن أباك لا يبالي وقع على الموت، أو وقع الموت عليه(4).

[26]

أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة

قال المؤرخون: أنّ معاوية لما أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر وظهر عليها، دعا عبدالله بن عامر الحضرمي، فقال له: سر إلى البصرة، فإنّ جل أهلها يرون رأينا في عثمان، ويعظمون قتله، وقد قتلوا في الطلب بدمه...

فقال عبدالله بن الحضرمي له: أنا سهم في كنانتك، وأنا من قد جربت، وعدو أهل حربك، وظهيرك على قتله عثمان، فوجهني إليهم متى شئت، ثمّ ودعه وخرج من عنده.

فلما نزل ابن الحضرمي في بني تميم أرسل إلى الرؤوس فأتوه، فقال لهم: أجيبوني إلى الحقّ، وانصروني على هذا الأمر. وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عبيد قد استخلفه عبدالله بن عباس، وقدم على عليّ(عليه السلام)إلى الكوفة يعزيه عن محمّد بن أبي بكر.

ثمّ إنّ الإمام عليّ(عليه السلام) دعا أعين بن ضبيعة المجاشعي، وقال: يا أعين، ألم يبلغك أن قومك وثبوا على عاملي مع ابن الحضرمي بالبصرة، يدعون إلى فراقي وشقاقي ويساعدون الضلال القاسطين عليَّ! فقال: لا تسأ يا أميرالمؤمنين، ولا يكن ما تكره.

ابعثني إليهم، فأنا لك زعيم بطاعتهم وتفريق جماعتهم، ونفي ابن الحضرمي من البصرة أو قتله. قال: فاخرج الساعة. فخرج من عنده ومضى حتى قدم البصرة حيث قتل هناك.

فكتب زياد إلى عليّ(عليه السلام) يخبره الخبر ويستحثّه على ارسال جارية بن قدامة، حيث وصفه بأ نّه: نافذ البصيرة، ومطاع في العشيرة، شديد على عدو أميرالمؤمنين، فإن يقدم يفرق بينهم بإذن الله.

فلما جاء الكتاب، دعا جارية بن قدامة وطلب منه الذهاب إلى البصرة للقضاء على فتنة ابن الحضرمي. وقد استطاع جارية من تنفيذ المهمّة واستطاع القضاء على هذه الفتنة وقتل ابن الحضرمي.

وكان مما قال أميرالمؤمنين لأصحابه عندما أرسلهم إلى البصرة للقضاء على فتنة ابن الحضرمي:

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، نَقْتُلُ آبَاءَنا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذلِكَ إلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ، وَصَبْراً عَلى مَضَضِ الأَلَمِ، وَجِدّاً عَلى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالآخَرُ مِنْ عَدُوِّنا يَتَصَاوَلاَنِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ المَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، ومَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلاَمُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلاَ اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ، وَأَيْمُ اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً(5)!

[27]

اللّهمّ لا تشبع بطنه

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) لأصحابه: أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ـ ولن تقتلوه ـ. ألا وإنّه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأمّا السب فسبوني، فإنّه لي زكاة ولكم نجاة، وأمّا البراءة فلا تتبرءوا مني، فإنّي ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة.

وقد ذهب كثير من الناس إلى أ نّه(عليه السلام) عني زياداً، وقال آخرون: إنّه عنى الحجاج. وقال قوم: إنّه عنى المغيرة بن شعبة، والأقرب إلى الصحة أ نّه عنى معاوية، لأ نّه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً.

وقد تظاهرت الأخبار أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) دعا على معاوية لما بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل، ثمّ بعث فوجده يأكل، فقال: «اللّهمّ لا تشبع بطنه».

وقال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاوية *** كأن في أحشائه معاوية

أمّا فيما يخصّ قوله(عليه السلام): «ألا وانّه سيأمركم بسبّي». قال ابن أبي الحديد: انّ معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبّ عليّ(عليه السلام)والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار ذلك سنّة في أيام بني أمية لعنهم الله إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز فأزاله.

وقال الجاحظ: انّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة:

اللّهمّ انّ أبا تراب ألحد في دينك وصدّ عن سبيلك فألعنه لعناً وبيلا وعذبه عذاباً أليماً، وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز(6).

[28]

لقاء عاصف مع خوارج النهروان

جاء رجل من مراد إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) يصلي في المسجد، فقال: احترس فإن أناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كلّ رجل ملكين يحفظانه ما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإنّ الأجل جنة حصينة.

وقال الشعبي: لم يزل الناس خائفين لهذه الخوارج على عليّ مذ حكم الحكمين وقتل أهل النهروان، حتى قتله ابن ملجم لعنه الله.

ولقد جاء أميرالمؤمنين(عليه السلام) ليلة فألقى درته ثمّ قام يصلي، فلما فرغ أتانا فقال: ما يجلسكم؟ قلنا: بحرسك.

فقال: أمن أهل السماء؟ فإنّه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى فى السماء، ثمّ قال: وإن عليَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني! وإنّه لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه(7).

وقد تنبأ بعدد من يقتل من أصحابه وبقدر من يبقى من الخوارج قبل أن يشتبك معهم في النهروان، فقال:

مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة، فلم يقتل من أصحاب الإمام إلاّ ثمانية، ولم ينج من الخوارج إلاّ تسعة(8).

[29]

الفرار من الحرب عار في الدنيا ونار في الآخرة

ومن كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلْسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللأَّمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ، وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا، وَصِلُوا السُّيُوفَ بَالْخُطَا، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً، وَعَلَيْكُمْ بِهذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً; فَصَمْداً صَمْداً! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)(9).

[30]

رد احتجاج الأنصار وقريش

عن أنس بن مالك، قال: مرّ أبو بكر والعباس بمجلس من الأنصار في مرض رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهم يبكون، فقالا: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا محاسن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فدخلا على النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبراه بذلك فخرج(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد عصب على رأسه حاشية بردة، فصعد المنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الّذي عليهم، وبقى الّذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم(10).

وروي انّه لما انتهت إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال(عليه السلام): ما قالت الأنصار؟

قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير.

قال(عليه السلام): فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟

قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

فقال(عليه السلام): لَوْ كَانَتِ الامارة فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.

ثمّ قال(عليه السلام): فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟

قالوا: احتجت بأَ نّها شجرة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال(عليه السلام): احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الَّثمَرَةَ(11).

[31]

أسر مروان

مروان بن الحكم الّذي قال عنه الرسول: وزغ ابن وزغ، وأبيه هو الحكم بن أبي العاص وهو الّذي طرده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وآواه عثمان. كان لمروان هذا دور في قتل عثمان بن عفان، وحاله كحال الثلاثة الآخرين (عائشة، طلحة، الزبير) خرج مروان للمطالبة بدم عثمان.

قال الرواة: أُخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) فكلماه فيه، فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أميرالمؤمنين، فقال(عليه السلام): أَو لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لاَ حَاجَةَ لِي في بَيْعَتِهِ! إِنّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَني بِسُبَّتِهِ.

أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الأُمَّة مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ(12).

ونرى في كلام أميرالمؤمنين أمر غيبي، فهو(عليه السلام) يقول: «إنّ له ـ أي لمروان ـ إمرة كلعقة الكلب أنفه»، يريد قصر المدة، وكذلك كانت مدة خلافة مروان، فإنّه ولي تسعة أشهر. و «الأكبش الأربعة» بنو عبدالملك: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، ولم يل الخلافة من بني أُمية ولا من غيرهم أربعة اخوة إلاّ هؤلاء. وكل ما أخبر به أميرالمؤمنين(عليه السلام) في هذا الكلام وقع كما أخبر به، وكذلك قوله: (يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه)، فإنّه ولي الخلافة وهو ابن خمسة وستين في أعدل الروايات(13).

[32]

التنبؤ بالنجوم

لما عزم عليّ(عليه السلام) الخروج من الكوفة إلى الحرورية لقتال الخوارج، كان في أصحابه منجم فقال له: يا أميرالمؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار فإنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضر شديد وإن سرت في الساعة الّتي أمرتك بها ظهرت وظفرت وأصبت ما طلبت.

فقال له عليّ(عليه السلام): أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت.

فقال(عليه السلام): من صدقك بهذا فقد كذّب بالقرآن قال الله تعالى: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ) (14)، ثمّ قال(عليه السلام): إنّ محمّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان يدعي علم ما ادعيت علمه أتزعم أ نّك تهدي إلى الساعة الّتي يصيب النفع من سار فيها وتصرف عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سار فيها فمن صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله عزّوجلّ في صرف المكروه عنه وينبغي للموقن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جلّ جلاله لأ نّك بزعمك هديته إلى الساعة الّتي يصيب النفع من سار فيها وصرفته عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدّاً وندّاً. اللّهمّ لا طير إلاّ طيرك، ولا ضير إلاّ ضيرك، ولا إله غيرك.

ثمّ قال: نخالف ونسير في الساعة الّتي نهيتنا عنها ثمّ أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إياكم والتعلم للنجوم إلاّ ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر إنّما المنجم كالكاهن، والكاهن كالكافر، والكافر في النار، أما والله إن بلغني أ نّك تعمل بالنجوم لأُخلدنك السجن أبداً ما بقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان.

ثمّ سار في الساعة الّتي نهاه عنها المنجم فظفر بأهل النهر وظهر عليهم ثمّ قال: لو لم نسر في الساعة الّتي نهانا عنها المنجم لقال الناس: سار في الساعة الّتي أمر بها المنجم فظفر وظهر أما إنه ما كان لمحمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) منجم ولا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر. أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه(15).

وقد روي أنّ هذا القائل كان عفيف بن قيس أخا الأشعث، وكان يتعاطى علم النجوم.

[33]

نسيان الآخرة

من خطبة لأميرالمؤمنين(عليه السلام) في ذكر عمرو بن العاص: عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ(16)! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ: أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلا، وَنَطَقَ آثِماً.

أَمَا ـ وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الإِلَّ; فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سُبَّتَهُ.

أَمَا واللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً(17).

هذه اذن عقيدة عمرو بن العاص وأخلاقه، وهو من أولئك الذين كان الإمام عليّ(عليه السلام) يلعنهم كلّ صباح ومساء.

[34]

صرامة الإمام

في خلافة عثمان، ازداد الظلم، وانقلبت الاثرة إلى طغيان، وانقلب الحقد إلى زئير، وتراكم الطغيان حتى وجد رد فعل طاغ في ثورة المظلومين، الذين أثقلهم الظلم الفادح، على حكومة عثمان وعلى ولاته.

وكانت عاقبة ذلك كله قتل عثمان. وجاء الناس إلى الإمام يطلبون منه أن يلي الحكم، ولكنه أبى عليهم ذلك، لا لأ نّه لم يأنس من نفسه القوة على ولاية الحكم وتحمل تبعاته، فقد كان(عليه السلام) على تمام الاهبة لولاية الحكم، كان قد خبر المجتمع الإسلامي من أقطاره، وخالط كافة طبقاته، وراقب حياتها عن كثب، ونفذ إلى أعماقها، وتعرف على الوجدان الطبقي الّذي يشدها ويجمعها. وقد مكنه من ذلك كلّه المركز الفريد الّذي كان يتمتع به من النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو وزيره ونجيبه، وأمين سرّه، وقائد جيوشه، ومنفذ خططه، ومعلن بلاغاته.

هذه المنزلة الفريدة الّتي لم يكن أحد من الصحابة يتمتع بها أعدته إعداداً تاماً لمهمة الحكم. وقد كان النبيّ ينبغي من وراء إناطة هذه المهام كلّها به اعداده للمنصب الإسلامي، ليصل إليه وهو على أتم ما يكون أهلية واستعداداً.

ولقد غدا من نافلة القول أن يقال أ نه(عليه السلام) هو الخليفة الّذي كان يجب أن يلي حكومة النبيّ في المجتمع الإسلامي. وإذا لم يقدر له أن يصل إلى الحكم بعد النبيّ فإنّه لم ينقطع عن الحياة العامة، بل ساهم فيها مساهمة خصبة، فقد كان أبوبكر ثمّ عمر ومن بعدهما عثمان لا يسعهم الاستغناء عن آراءه في السياسة والقضاء والحرب، وخاصة في خلافة عثمان فقد كان فيها على أتم الصلة بالتيارات الّتي تمخر المجتمع الإسلامي، لكن عثمان لم ينتفع كثيراً بالتوجيه الّذي كان الإمام يقدمه إليه لأنّ بطانة متعفنة كانت تحيط بهذا الخليفة. فأنت ترى أ نّه لم يأب الحكم لأ نّه لم يأنس من نفسه القوة عليه، وإنّما أباه لأمر آخر: لقد كان يرى المجتمع الإسلامي وقد تردى في هوة من الفوارق الاجتماعية الّتي ازدادت اتساعاً بسبب السياسة الّتي اتبعها ولاة عثمان مدة خلافته.

ولقد كان يرى التوجيهات الدينية العظيمة الّتي عمل النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة حياته على إرساء أُصولها في المجتمع العربي قد فقدت فاعليتها في توجيه حياة الناس.

وكان(عليه السلام) يعرف السبيل الّذي يرد الأشياء إلى نصابها، فإنّما صار الناس إلى واقعهم هذا لأ نّهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة الّتي تهيمن عليهم. فقدوا الثقة بهذه القوة كناصر للمظلوم وخصم للظالم، فراحوا يسعون إلى إقرار حقوقهم وصيانتها بأنفسهم. وهكذا، رويداً رويداً انقطعت الصلة بينهم وبين الرموز المعنوية الّتي يجب أن تقود حياتهم. والسبيل إلى تلافي هذا الفساد كلّه هو إشار الناس أنّ حكماً صحيحاً يهيمن عليهم، لتعود إلى الناس ثقتهم الزائلة بحكامهم. ولكن شيئاً كهذا لم يكن سهلا قريب المثال، فهناك طبقات ناشئة لا تسيغ مثل هذا، ولذلك فهي حرية أن تقف في وجه كلّ برنامج اصلاحي وكل محاولة تطهيرية، ولذلك أبى عليهم قبول الحكم، لأ نّه قدر ـ وقد أصاب ـ أ نّه سيلاقي معارضة عنيفة من كلّ طبقة تجد صلاحها في أن يبقى الفساد على حاله. لأجل هذا قال للجماهير يوم هرعت إليه تسأله أن يلي الحكم: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أ نّي أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً(18).

ولكن القوم أبوا عليه إلاّ أن يلي الحكم، وربما رأى(عليه السلام) أ نّه إذا لم يستجب لهم فربّما توثب على حكم المسلمين من لا يصلح له، فيزيد الفساد فساداً، ورجا أن يخرج بالناس من واقعهم الاجتماعي التعس الّذي أحلتهم فيه اثنتا عشرة سنة مضت عليهم

في خلافة عثمان، إلى واقع أنبل وأحفل بمعاني الإسلام، وهكذا استجاب لهم، فبويع خليفة للمسلمين.

[35]

خبر غيبي عن بني أُميّة

لا يجهل أحد مبلغ ما نزل بالناس من ظلم بني أُمية وانتهاكهم للحرمات، واستهتارهم بالفضيلة حتى صار خلفاؤهم مثلا لا في الظلم والفسق والتهتك. وقد تحدّث أميرالمؤمنين(عليه السلام) كثيراً عن نهاية بني أُمية وأن الأمر سيصير إلى أعدائهم بعدهم في الوقت الّذي يحسب الناس فيه أ نّهم مخلدون.

فقال(عليه السلام) متحدّثاً عن ظلم بني أُمية: «وَاللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَر وَلاَ وَبَر إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ».

ثمّ أعاد(عليه السلام) الشكوى والتألم فقال: «أَيْدِيكُمْ فِي الدنيا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي مستحقي الرياسة ومستوجبي الأمر مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ مسلطة على أهل البيت الذين هم القادة والرؤساء، وَسُيُوفُهُمْ مَقْبُوضَةٌ عَنْكُمْ».

وكأ نّه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين(عليه السلام) وأهله، وكأ نّه يشاهد ذلك عياناً، ويخطب عليه ويتكلم على الخاطر الّذي سنح له، والأمر الّذي كان أُخبر به، ولكن هل يستمر هذا الظلم، وهل تبقى دولة بني أُمية بالرغم من القوة والمنعة الّتي امتازت بها.

يقول أميرالمؤمنين(عليه السلام): «حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلاَ سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذلِكَ. بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً».

ثمّ قال(عليه السلام): «أَلاَ إِنَّ لِكُلِّ دَم ثَائِراً، وَلَكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لاَ يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلاَ يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ، عَمَّا قَلِيل لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ»(19).

وقد تحقّقت هذه النبوءات بحذافيرها بزوال ملك بني أُمية على يد العباسيين، وما يصنعه العباسيون من القتل والتشريد بهم. وإنّ الأمر بقى في أيدي بني أُمية قريباً من تسعين سنة، ثمّ عاد إلى البيت الهاشمي، وانتقم الله تعالى منهم على أيدي أشد الناس عداوة لهم.

[36]

جواب حاسم لأميرالمؤمنين(عليه السلام)

انّ من أبرز المشاكل الّتي حفل بها المنهج الاصلاحي لأميرالمؤمنين(عليه السلام) يوم ولي الحكم، مشكلة الفقر والغنى. ولقد كان مجتمعه إذ ذاك يعاني جراحاً عميقة بسبب هذه المشكلة، فقد ولي الإمام الحكم والتفاوت الطبقي في المجتمع الإسلامي على أشد ما يكون عمقاً واتساعاً. ففي العهد السابق على ولاية الإمام(عليه السلام) للحكم كانت الطريقة المنبعة في التقدير وإظهار الكرامة هي التفضيل في العطاء. وقد اتبعت هذه الطريقة في بعض الحالات بصورة خارجة عن حدود المعقول والمقبول، ففضل من لا سابقة له في الدين ولا قدم له في الإسلام على ذوي السوابق والأقدار. وقد أوجد هذا اللون من السياسة المالية طبقة من الأشراف لا تستمد

قيمتها من المثل الأعلى للإسلام، وإنّما تستمدها من السلالة والغنى والامتيازات التيى لا ماض عريق لها، وكان من نتائج ذلك أن أحس الفقراء الضعفاء بالدونية واستشعر الأشراف الاستعلاء، وحرم الفقراء المال الّذي تدفق إلى جيوب الأغنياء. فلما ولي الإمام الحكم ألفى بين يديه هذا الأرث المخيف الّذي يهدد باستئصال ما غرسه النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في نفوس المسلمين. وقد عالج هذا الواقع الّذي سيق إليه بالتسوية بين الناس في العطاء، فالشريف والوضيع، والكبير والصغير، والعربي والعجمي، كلهم في العطاء سواء، فلم يجعل العطاء مظهراً للتفاضل بين الأفراد والأفراد والطبقات والطبقات. وبهذا أظهر للناس أن القيمة ليست بالمال، وحال بين الفقراء والضعفاء وبين الشعور بالدونية، وبين الأشراف والأقوياء وبين أن يشعروا بالاستعلاء. وأهاب بالناس أن يتوبوا إلى الله فيجعلوا التقوى مناط التفاضل ومقياس التقويم.

وقد ثارت الطبقة الارستقراطية لسياسة المساواة المالية الّتي قام بها الإمام فأشاروا عليه أن يصطنع الرجال بالأموال، فقال: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ لَهُمْ. أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهَ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ».

ولم يكن هذا كلّ ما ينتظر الطبقة الارستقراطية على يديه يوم أمسك بالزمام، لقد كانت أموال الأمة تتدفق ـ تحت عينيه ـ قبل أن يتولى الحكم إلى جيوب فريق من الناس، فأخذ على نفسه عهداً بمصادرتها، بردها إلى أهلها، وكان أن أعلن للناس يوم ولي الحكم مبدأ من جملة المبادىء الّتي أعدها لمحاربة الفقر الكافر في مجتمعه الموشك على الانهيار، فقال:

«ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فإنّ الحقّ لا يبطله شيء. وَلَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَفرق في البلدان، فَإِنَّ في العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيقُ».

وكم كان يقض مضجعه عدم التوازن في توزيع الثروات في زمانه(عليه السلام)، فتراه يصرخ أكثر من مرة، من على منبر الكوفة، بمثل هذا القول: «وقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَن لاَ يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلاَّ إِدْبَاراً، وَالشَّرُّ إِلاَّ إِقْبَالا، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلاَكِ النَّاسِ إِلاَّ طَمَعاً... اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلاَّ فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقّ اللهِ وَقْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً! أَيْنَ خِيارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ؟! وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، والْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟»(20).

ولا يعالج الفقر عند الإمام بالمواعظ والخطب، وإنّما يعالج بحماية مال الأمة من اللصوص والمستغلين، ثمّ بصرفه في موارده.

[37]

يد الله مع الجماعة

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) في الخوارج لما سمع قولهم «لا حكم إلاّ لله» قال(عليه السلام): «كَلِمَةُ حَقّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لا حُكْمَ إِلاَّ للهِ، ولكِنَّ هؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لاَ إِمْرَةَ، فَإِنَّهُ لاَبُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِير بَرّ أَوْ فَاجِر، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِر»(21).

وممّا قاله(عليه السلام) لهم أيضاً: «فإنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَ نّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) بِضَلاَلِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ البَرء وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ

وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ; فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلاَمِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ!

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالا النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ».

وقال(عليه السلام) للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلاّ لله، وكان من الخوارج: اسكت قبحك الله يا أثرم، فو الله لقد ظهر الحقّ فكنت فيه ضئيلا شخصك، خفياً صوتك، حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز(22).

[38]

خبر عن جرائم صاحب الزنج

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) فيما يخبر به من الملاحم بالبصرة: يا أحنف، كأ نّي به وقد سار بالجيش الّذي لا يكون له غبار ولا لجب، ولا قعقعة لجم، ولا حمحمة خيل. يثيرون الأرض بأقدامهم كأ نّها أقدام النعام.

ثمّ قال(عليه السلام): «وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، وَدُورِكُمُ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولئِكَ الَّذِينَ لاَ يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلاَ يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا».

وكلام أميرالمؤمنين(عليه السلام) هذا يتحدّث به عن صاحب الزنج الّذي ظهر بالبصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين، حيث زعم أ نّه عليّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ في البصرة. وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين(23).

(1) بحار الأنوار 32: 443.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 3/312.

(3) شرح نهج البلاغة 1: 213.

(4) مجمع البيان 1: 309.

(5) شرح نهج البلاغة : 4/33.

(6) منهاج البراعة: 4/345.

(7) بحار الأنوار: 42/222.

(8) دراسات في نهج البلاغة: 179.

(9) نهج البلاغة: 1/114.

(10) شرح نهج البلاغة: 6/4.

(11) شرح نهج البلاغة: 6/4.

(12) بحار الأنوار: 41/355.

(13) شرح نهج البلاغة: 6/146.

(14) لقمان: 34.

(15) بحار الأنوار: 33/346.

(16) نبغ الشيء: ظهر، وقد سميت أُم عمرو بـ «النابغة» لشهرتها بالفجور وتظاهرها به.

(17) نهج البلاغة: 1/147.

(18) نهج البلاغة: 1/181.

(19) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 7/120.

(20) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 8/109.

(21) نهج البلاغة: 1/91.

(22) نهج البلاغة: 2/7 و114.

(23) راجع أخباره في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 8/126.

[39]

خبر عن جنكيزخان

كما أخبر الإمام(عليه السلام) عن هلاك البصرة بفتنة الزنج، أخبر عن هلاكها بالتتر فقال:

«كَأَ نِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَوَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْل،حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ المَأْسُورِ»(1).

هذه النبوءة تحققت بظهور التتار واكتساحهم للممالك حتى وصلوا إلى العراق فلقيت البصرة منهم أعظم البلاء وأشنعه، فقد تكدست الجثث في الشوارع والأزقة وحل بالناس منهم خوف عظيم. وقد وقعت هذه الأحداث في زمن ابن أبي الحديد فكتب عنها فصلا كبيراً(2).

والتتار هم الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام، وفعلوا الأفاعيل في مختلف البلدان الّتي احتلوها ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله، فإنّ بابك الخرمي لم تكن نكايته وإن طالبت مدته نحو عشرين سنة إلاّ في اقليم واحد وهو أذربيجان، وهؤلاء دوخوا المشرق كله، وتعدت نكايتهم إلى بلاد ارمينية وإلى الشام، ووردت خيلهم إلى العراق.

وقد ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في تاريخه (حوادث سنة 617 وما بعدها)، وقال في أولها: لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخّر أُخرى فمن الّذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين! ومن ذا الّذي يهون عليه ذكر ذلك! فياليت أُمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً!

[40]

عليّ(عليه السلام) تلميذ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

عندما وصف أميرالمؤمنين(عليه السلام) الأتراك في خطبته السابقة حين قال: كأ نّي أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج...

قال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب!! فضحك(عليه السلام) وقال للرجل ـ وكان كلبياً ـ :

«يَا أَخَا كَلْب، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْب، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْم، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَر أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيح أَوْ جَمِيل، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيل، وَشَقِيّ أَوْ سَعِيد، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً; فَهذَا عَلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي»(3).

[41]

توديع أبو ذر

لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشر الكانزين بعذاب أليم ويتلو قول الله عزّ وجلّ: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَاب أَلِيم)(4) فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذر ناتلا مولاه أن انته عما يبلغني عنك فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله؟ فو الله لإن أرضي الله بسخط عثمان أحب إليَّ وخير لي من أن أسخط الله برضاه. فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وكف، وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا؟

فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي؟ إلحق بمكتبك وكان مكتبه بالشام إلاّ أ نّه كان يقدم حاجاً ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فيأذن له في ذلك، وإنّما صار مكتبه بالشام لأ نّه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعاً: إنّي سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إذا بلغ البناء سلعاً فالهرب. فأذن لي آتي الشام فأغزو هناك. فأذن له، وكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار فقال: إن كانت من عطائي الّذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها.

وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمائتي دينار فقال: أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إليَّ بمال؟ وردها.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله؟ فهي الخيانة، وإن كانت من مالك؟ فهذا الإسراف، فسكت معاوية.

وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا في سنّة نبيّه، والله إنّي لأرى حقاً يطفأ، وباطلا يحيى، وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذر مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد فاحمل جندباً إليَّ على أغلظ مركب وأوعره فوجه معاوية من سار به الليل والنهار، فلما قدم أبو ذر المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان: إلحق بأي أرض شئت. فقال بمكة. فقال: لا، قال: فبيت المقدس. قال: لا. قال: فبأحد المصرين. قال: لا. ولكني مسيرك إلى الربذة. ثمّ سيره إلى الربذة فكان أبو ذر يقول: ما ترك الحقّ لي صديقاً. فلما سار إلى الربذة قال: ردني عثمان بعد الهجرة أعرابياً.

قال: وشيّع عليّ(عليه السلام) أبا ذر فأراد مروان منعه منه فضرب عليّ بسوطه بين أُذني راحلته، وجرى بين عليّ وعثمان في ذلك كلام حتى قال عثمان: ما أنت بأفضل عندي منه. وتغالظا فأنكر الناس قول عثمان ودخلوا بينهما حتى اصطلحا.

ولم يزل أبو ذر بالربذة حتى مات.

ويذكر انّ أباذر لما دخل على عثمان، قال له: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب! فقال أبو ذر: أنا جنيدب وسماني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عبدالله، فاخترت اسم رسول الله الّذي سماني به على اسمي، فقال عثمان: أنت الّذي تزعم أنا نقول إن يد الله مغلولة، وإن الله فقير ونحن أغنياء!

فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده، ولكني أشهد لسمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله دخلا.

فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبيّ الله؟ فقالوا: ما سمعناه، فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر! أتكذب على رسول الله؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنون أ نّي صدقت! قالوا: لا والله ما ندري، فقال عثمان: ادعوا لي عليّاً، فدعي، فلما جاء قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص، فحدثه، فقال عثمان لعليّ: هل سمعت هذا من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال عليّ(عليه السلام): لا، وقد صدق أبو ذر!

قال عثمان: بم عرفت صدقه؟

قال: لأ نّي سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

فقال جميع من حضر من أصحاب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم): لقد صدق أبو ذر، فقال أبو ذر: أحدّثكم أ نّي سمعت هذا من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ تتهمونني! ما كنت أظن أ نّي أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)!(5)

[42]

الحقّ القديم لا يبطله شيء

ومن كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه، فقال عليّ(عليه السلام) للمغيرة: يابن اللعين الأبتر، والشجرة الّتي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟ والله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه. اخرج عنا أبعد الله نواك، ثمّ أبلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت(6).

قال ابن أبي الحديد: إنّما قال(عليه السلام): يابن اللعين. لأن الأخنس كان من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم، وأعطاه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مائة من الابل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، وابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أميرالمؤمنين(عليه السلام) يوم أُحد كافراً في الحرب، وإنّما قال(عليه السلام): يابن الأبتر، لأن من كان عقبه ضالا خبيثاً فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه، وكنى(عليه السلام) بنفي أصلها وفرعها من دناءته وحقارته، وقيل: لأن في نسب ثقيف طعناً. وقتل المغيرة مع عثمان في الدار.

وقد روى ابن عباس: إن عليّاً(عليه السلام) خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: ألا إن كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرّق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحقّ فالجور عنه أضيق.

قال الكلبي: ثمّ أمر(عليه السلام) بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقضبت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله الّتي وجدت في داره وغير داره، وأمر أن ترجع الأموال الّتي أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أُصيب أصحابها(7).

[43]

الاصرار على تطبيق العدالة

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام): «لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُوني عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ، وَلاَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهَ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً».

قال ابن أبي الحديد: الفلتة: الأمر يقع عن غير تدبر ولا روية، وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر، وقد تقدم لنا في معنى قول عمر: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها» كلام. والخزامة: حلقة من شعر تجعل في أنف البعير، ويجعل الزمام فيها. وأعينوني على أنفسكم: خذوها بالعدل، واقمعوها عن اتباع الهوى، واردعوها بعقولكم عن المسالك الّتي ترديها وتوبقها، فإنّكم إذا فعلتم ذلك أعنتموني عليها، لأ نّي أعظكم وآمركم بالمعروف، وأنهاكم عن المنكر، فإذا كبحتم أنفسكم بلجام العقل الداعي إلى ما أدعو إليه، فقد أعنتموني عليها.

أمّا معنى قوله: «أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ» لأ نّه لا يريد من طاعتهم له إلاّ نصرة دين الله والقيام بحدوده وحقوقه، ولا يريديهم لحظ نفسه، وأمّا هم فإنّهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب، والأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا. وهذا الخطاب منه لجمهور أصحابه، فأما الخواص منهم فإنّهم كانوا يريدونه لأمر الّذي يريدهم له من إقامة شرائع الدين وإحياء معالمه(8).

[44]

خبر عن خروج السفياني

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) في خطبة يذكر فيها الملاحم: «يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى، إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ...

ثمّ قال: حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاق، بَادِياً نَوَاجِذُهَا ، مملُوءَةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلاَ وَفِي غَد ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ(9) كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

كأ نِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وَفَرَشَ الأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ، قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ.

وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، فَلاَ تَزَالُونَ كَذلِكَ، حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلاَمِهَا. فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ»(10).

الحديث هو إشارة إلى ظهور القائم(عليه السلام)، وحكمه بالعدل واحيائه للكتاب والسنّة، وفيه كذلك إشارة إلى السفياني وظهوره في الشام وتحركه باتجاه الكوفة، والقتل العام الّذي قام به، وفيه إخبار عن عبدالملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها أيام الرحمن بن الأشعث، وقتله أيام مصعب بن الزبير.

[45]

الفاصلة بين الحقّ والباطل

من كلام لأميرالمؤمنين متحدّثاً عن الحقّ والباطل، قال(عليه السلام):

«أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِين وَسَدَادَ طَرِيق، فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُخْطِيءُ السِّهَامُ، وَيَحِيلُ الْكَلاَمُ، وَبَاطِلُ ذلِكَ يَبُورُ، وَاللهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ».

فسئل عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثمّ قال: «الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ!»(11).

وهذا الكلام هو نهي عن التسرع إلى التصديق بما يقال من العيب والقدح في حقّ الإنسان المستور، الظاهر المشتهر بالصلاح والخير، وهو خلاصة قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَة فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(12) وقد ضرب(عليه السلام) لذلك مثلا فقال: قد يرمي الرامي فلا يصيب الغرض، وكذلك قد يطعن الطاعن فلا يكون طعنه صحيحاً، وربما كان لغرض فاسد أو سمعة ممن له غرض فاسداً، كالعدو والحسود، وقد يشتبه الأمر فيظن المعروف منكراً، فيجعل الإنسان بقول لا يتحققه، كمن يرى غلام زيد يحمل في إناء مستور مغطى خلاّ فيظنه خمراً. وقال(عليه السلام): «وَيَحِيلُ الْكَلاَمُ» أي يكون باطلا، أحال الرجل في منطقه إذا تكلم الّذي لا حقيقة له. ويشير بقوله(عليه السلام): «وَبَاطِلُ ذلِكَ يَبُورُ»، إلى القول المعروف: للباطل جولة، وللحقّ دولة، وهذا من قوله تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)(13).

[46]

منزلة الفتنة

من كلام له(عليه السلام) خاطب به أهل البصرة محذراً إيّاهم من الفتنة:

«فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ أَطَعْتُمُوني فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّة شَدِيدَة وَمَذَاقَة مَرِيرَة. وَأَمَّا فُلاَنَةُ، فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ، لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ. وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال:

لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ، قَوْلَهُ: (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) بَيْنَ أَظْهُرِنَا.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُد حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟

فَقَالَ لي: إنَّ ذلِكَ لَكَذلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إذَنْ؟

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ هذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ البشرى وَالشُّكْرِ.

ثمّ قال(عليه السلام): قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّة، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَة؟

فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَة»(14).

[47]

عشق عليّ(عليه السلام) الكبير للشهادة

بعد انتهاء غزوة أُحد، رأى الإمام عليّ(عليه السلام) بأنّ الكثير من أصحاب الرسول قد استشهد، فهذا عمّه حمزة، وذلك مصعب بن عمير، وعبدالله بن جحش، وحنظلة...، أخذ الإمام يفكر بسبب عدم نيله الشهادة، خصوصاً أ نّه كان على رأس القلّة الّتي بقيت تدافع عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لآخر نفس، بعد أن هرب الكثير من الصحابة.

ولما خلا الإمام عليّ(عليه السلام) برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: يا رسول الله، إنك قلت لي يوم أُحد ـ حين أخرت عن الشهادة، واستشهد من استشهد ـ : إن الشهادة من ورائك. قال: فكيف صبرك إذا خضب هذه من هذه؟ ـ وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه ـ :

فقال عليّ: أمّا إذا بليت ما بليت ليس ذلك من مواطن الصبر ولكن هو من مواطن البشرى والكرامة(15).

قال ابن أبي الحديد: أن لفظه(عليه السلام) المروي في الخطبة السابقة يدل على أن الآية المذكورة وهي قوله: (ألم أحسب الناس...) أُنزلت بعد أُحد، وهذا خلاف قول أرباب التفسير، لأن هذه الآية هي أول سورة العنكبوت وهي عندهم بالاتفاق مكية ويوم أُحد كان بالمدينة، وينبغي أن يقال في هذا: إن هذه الآية خاصة أُنزلت بالمدينة وأُضيفت إلى السورة المكية فصارتا واحدة، وغلب عليها نسب المكي، لأن الأكثر كان بمكة، وفي القرآن مثل هذا كثير، كسورة النحل، فإنّها مكية بالاجماع، وآخرها ثلاث آيات أُنزلت بالمدينة بعد يوم أُحد.

وقوله(عليه السلام): «ليس هذا من مواطن الصبر» كلام عال جداً يدل على يقين عظيم وعرفان تام، ونحوه قوله(عليه السلام): ـ وقد ضربه ابن ملجم ـ: فزت وربّ الكعبة(16).

[48]

قصة أُخرى في هذا الموضوع

عندما تكلّم أميرالمؤمنين(عليه السلام) عن الفتنة في خطبته السابقة، ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك قال: «فعليكم بكتاب الله» أي إذا وقع الأمر واختلط الناس، فعليكم بكتاب الله فلذلك، قام إليه من سأله عن الفتنة.

وهذا الخبر مروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قد رواه كثير من المحدّثين عن عليّ(عليه السلام) أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كتب عليَّ جهاد المشركين.

قال: فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة الّتي كتب عليَّ فيها الجهاد؟

قال: قوم يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنّة. فقلت: يا رسول الله فعلام أُقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟

قال: على الاحداث في الدين، ومخالفة الأمر.

فقلت: يا رسول الله، إنك كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يعجلها لي بين يدينك.

قال: فمن قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! أمّا إنّي وعدتك الشهادة وستستشهد، تضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذاً! قلت: يا رسول الله، ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر. قال: أجل أصبت فأعد للخصومة فإنّك مخاصم.

فقلت: يا رسول الله، لو بيّنت لي قليلا!

فقال: إنّ أُمتي ستفتن من بعدي، فتتأول القرآن وتعمل بالرأي، وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية، والربا بالبيع، وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تقلدها فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور، وقلبت لك الأُمور، تقاتل حينئذ على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأُولى.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُ هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة؟

فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل.

فقلت: يا رسول الله، أيدركهم العدل منا أم من غيرنا؟

قال: بل منا، بنا فتح وبنا يختم، وبنا أ لّف الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلّف بين القلوب بعد الفتنة.

فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله(17).

[49]

أُسوة الزهد والحرية

وكان ممّا تحدّث به الإمام في الكوفة (الخطبة 160) وذلك بعد أن حمد الله وأثنى عليه، ثمّ وعظ الناس وذكرهم بالدنيا الفانية والآخرة الباقية، ثمّ ذكّرهم برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الّذي يعتبر أ فضل أُسوة وقدوة للمسلمين، ثمّ تحدّث عن بقية القدوات في حياة الإنسان المسلم، فذكر كذلك أنبياء الله موسى وداود وعيسى(عليهم السلام).

فكان ممّا قاله(عليه السلام):

«وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَفُطِمَ مِنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا»(18).

[50]

عليّ المتأسّي بنبيّه(صلى الله عليه وآله وسلم)

ثمّ قال أميرالمؤمنين(عليه السلام):

«فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ(عليه السلام) فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى ـ وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ».

ثمّ قال(عليه السلام)واصفاً الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم):

«خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَر، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ!

وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذُهَا؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى(19)»(20).

[51]

جوانب من زهد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)

يستمر أميرالمؤمنين(عليه السلام) في حديثه عن القدوة والأسوة، رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فيذكر جوانب مشرقة من حياته فيما يتعلق بزهده(صلى الله عليه وآله وسلم)فيقول أميرالمؤمنين(عليه السلام):

«أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً... وَلَقَدْ كَانَ(صلى الله عليه وآله وسلم) يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلاَنَةُ ـ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا».

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلاَ يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلاَ يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ.

وَكَذلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِىءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ)زُلْفَتِهِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) بِذلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ ـ وَاللهِ الْعَظِيمِ ـ وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاَّ فَلاَ يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ»(21).

[52]

زهد موسى(عليه السلام)

ثمّ تحدّث الإمام عليّ(عليه السلام) عن أُسوة وقدوة أُخرى، وهي شخصية نبي الله موسى(عليه السلام) فقال: «وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسى كَلِيمِ اللهِ إِذْ يَقُولُ: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)(22)، وَاللهِ، مَا سَأَلَهُ إِلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ،

وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ»(23).

وعن أبي عبدالله(عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى حكاية عن قول موسى(عليه السلام): (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال: سأل الطعام، فأوحى الله إليه: يا موسى الفقير من ليس له مثلي كفيل، والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس له مثلي مؤنس، يا موسى إرض بكسرة من شعير تسد بها جوعتك، وخرقة تواري بها عورتك واصبر على المصائب، وإذا رأيت الدنيا مقبلة عليك، فقل إنا لله وإنا إليه راجعون.

وإذا رأيت الدنيا مدبرة عنك فقل: مرحباً بشعار الصالحين.

يا موسى لا تعجبين بما أُوتي فرعون، وما متع به فإنّما هو زينة الحياة الدنيا(24).

[53]

زهد داود(عليه السلام)

ثمّ تحدّث الإمام عليّ(عليه السلام) عن زهد نبي الله داود(عليه السلام) فقال:

«وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوودَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِىءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا»(25).

وقد روي عن أبي عبدالله(عليه السلام):

أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود(عليه السلام): أ نّك نعم العبد لولا أ نّك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود(عليه السلام)، فأوحى الله عزّوجلّ إلى الحديد أن لِن لعبدي داود، فألان الله تعالى له الحديد، فكان يعمل كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل(عليه السلام) ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال(26).

[54]

زهد عيسى(عليه السلام) وتقواه

ويستمر أميرالمؤمنين(عليه السلام) في الحديث عن الزهد ونماذجه، فبعد أن تحدّث عن زهد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وعن زهد موسى وداود(عليهما السلام)، أخذ في الحديث عن زهد عيسى(عليه السلام) وتقواه، فقال:

«وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ(عليه السلام)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ»(27).

وقد ورد مضمون هذا الكلام عن عيسى(عليه السلام)، إذ قال:

خادمي يداي، ودابتي رجلاي، وفراشي الأرض ووسادي الحجر، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض، وسراجي بالليل القمر، وإدامي الجوع(28) وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء

وأصبح وليس لي شيء، وليس على وجه الأرض أحد أغنى مني(29).

(1) نهج البلاغة: 2/10.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 8/218.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 8/215.

(4) التوبة: 34.

(5) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 3/55.

(6) نهج البلاغة 2: 18.

(7) الغدير: 8/287.

(7) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/31.

(8) الأفاليذ: جمع أفلاذ، وهي جمع فلذة: وهي القطعة من الكبد.

(10) نهج البلاغة: 2/22.

(11) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/72.

(12) الحجرات: 6.

(13) الإسراء: 81.

(14) نهج البلاغة: 2/47.

(15) نهج السعادة: 1/383.

(16) شرح نهج البلاغة: 9/207.

(17) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/206.

(18) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/222.

(19) مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة، رجاء الراحة الآجلة.

(20) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/232.

(21) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/232.

(22) القصص: 24.

(23) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/229.

(24) المحاسن 2: 585.

(25) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/229.

(26) من لا يحضره الفقيه: 3/162.

(27) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/229.

(28) إدامي الجوع: أي: إنّي لا آكل شيئاً إلاّ بعد شدة الجوع والاشتياق إليه، ولا آكل إلاّ إذا كان هكذا يكون مستلذاً، ويكون كأ نّه مع الآدام.

(29) قصص الأنبياء الجزائري: 460.

[55]

جواب سؤال ليس في محله

في معركة صفين، وبعد استراحة قصيرة للمتحاربين، سأل ابن دودان أميرالمؤمنين قائلا: يا أميرالمؤمنين: عجبت لهؤلاء القوم الذين عدلوا هذا الأمر عنكم! وأنتم الأعلون نسباً وفرطاً برسول الله، وقيماً للكتاب؟!

فقال(عليه السلام): يَا أَخَا بَنِي أَسَد، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَد، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ(1)، وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ:

أَمَّا الإِسْتِبْدادُ عَلَيْنَا بِهذَا الْمَقامِ وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالاشْتَدُّونَ بِالرَّسُولِ نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ اللهُ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ *** وَلكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلاَ غَرْوَ وَاللهِ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الأَوَدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرات إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)(2)(3).

[56]

نصيحة لعثمان

لما اجتمع الناس أميرالمؤمنين(عليه السلام)، وشكوا إليه ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل(عليه السلام) على عثمان فقال:

«إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْر لاَ تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْء فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْء فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) وَشِيجَةَ رَحِم مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ.

فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ ـ وَاللهِ ـ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْل، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِاللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَي، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَاللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً.

وَإِنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا.

وَإِني أَنْشُدُكَ اللهَ أنْ تَكُونَ إِمَامَ هذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً.

فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً(4) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلَ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ.

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِن مَظَالِمِهِمْ.

فَقال: مَاكَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ(5).

[57]

قيام الحجّة

قال كليب الجَرْمي: لما قتل عثمان ما لبثنا إلاّ قليلا حتى قدم طلحة والزبير البصرة، ثمّ ما لبثنا بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى أقبل عليّ بن أبي طالب بذي قار، فقال شيخان من الحي: إذهب بنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو إليه.

فلما أتينا ذي قار قدمنا على أذكى العرب، فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول: هو أعلم به مني وأطوع فيهم، فقال: من سيد بني راسب. فقلت: فلان. قال: فمن سيد بني قدامة. قلت: فلان لرجل آخر. فقال: أنت مبلغهما كتابين مني؟ قلت: نعم، قال: أفلا تبايعاني؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته، فجعل رجال عنده ـ قد أكل السجود وجوههم ـ يقولون: بايع بايع.

فقال(عليه السلام): دعوا الرجل.

فقلت: إنّما بعثني قومي رائداً وسأتي إليهم ما رأيت فإن بايعوا بايعت، وإن اعتزلوا اعتزلت.

فقال لي: أرأيت لو أن قومك بعثوك رائداً فرأيت روضة وغديراً. فقلت: يا قومي النجعة النجعة. فأبوا أما كنت بمستنجع بنفسك؟ قال: قلت: بلى، كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء.

فقال(عليه السلام): فامدد إذاً يدك. فقال الرجل: فو الله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليَّ، فأخذت باصبع من أصابعه.

فقلت: أُبايع على أن أطيعك ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا.

فقال: نعم وطول صوته، فضربت على يده، ثمّ التفت إلى محمّد بن حاطب وكان من ناحية القوم، فقال: إذا انطلقت إلى قومك فأبلغهم كتبي وقولي. فتحول إليه محمّد حتى جلس بين يديه فقال: إن قومي إذا أتيتهم يقولون: ما يقول صاحبك في عثمان؟ فسبّ الذين حوله عثمان، فرأيت عليّاً قد كره ذلك حتى رشح جبينه، وقال: أيها القوم كفّوا ما إياكم يسأل، ولا عنكم بسائل.

قال: فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على عليّ(عليه السلام) أهل الكوفة فجعلوا يقولون: نرى إخواننا من أهل البصرة يقاتلوننا؟! وجعلوا يضحكون ويعجبون ويقولون: والله لو التقينا لتعاطينا الحقّ. كأ نّهم يرون أ نّهم لا يقاتلون.

وخرجت بكتاب عليّ(عليه السلام) فأتيت أحد الرجلين فقبّل الكتاب وأجابه، ودللت على الآخر وكان متوارياً ـ فلو أنّهم قالوا: كليب ما أذن لي ـ فدخلت عليه ودفعت الكتاب إليه وقلت: هذا كتاب عليّ وأخبرته الخبر وقلت: إني أخبرت عليّاً أ نّك سيّد قومك.

فأبى أن يقبّل الكتاب ولم يجبه إلى ما سأله، وقال: لا حاجة لي اليوم في السؤدد! فو الله إنّي لبالبصرة ما رجعت إلى عليّ حتى نزل العسكر، ورأيت الغر الذين كانوا مع عليّ(عليه السلام)(6).

[58]

دفاع عن حقّ الإمامة

بعد مقتل عمر وما حصل بالشورى الّتي شكّلها عمر لتعيين الخليفة من بعده، قال سعد بن أبي وقاص (وهو أحد الأشخاص الستّة الذين عيّنهم عمر في الشورى) لأميرالمؤمنين(عليه السلام): «إِنَّكَ يابْنَ أَبِي طَالِب عَلَى هذَا الأَمْرِ لَحَرِيصٌ.

فَقال: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ أَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْملاءِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!»

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلى قُرَيْش وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا: أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ».

هذا من خطبة يذكر فيها(عليه السلام) ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر، وصاحب القول هو سعد بن أبي وقاص، مع روايته فيه(عليه السلام): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وهذا عجب!

وقال البعض: هذا الكلام يوم السقيفة، والّذي قال له: إنك على هذا الأمر لحريص، أبو عبيدة بن الجراح.

وقد تواترت الأخبار عنه(عليه السلام) بنحو من هذا القول، نحو قوله(عليه السلام): ما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا.

وقوله(عليه السلام): اللّهمّ أخز قريشاً فإنّها منعتني حقّي، وغصبتني أمري.

وقوله(عليه السلام): فجزى قريشاً عني الجوازي، فإنّهم ظلموني حقّي، واغتصبوني سلطان ابن أُمي.

وقوله(عليه السلام): وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: هلم فلنصرخ معاً، فإنّي ما زلت مظلوماً.

وقوله(عليه السلام): وإنّه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى.

وقوله(عليه السلام): أرى تراثي نهباً.

وقوله(عليه السلام): أصغيا بإنائنا، وحملا الناس على رقابنا.

وقوله(عليه السلام): إنّ لنا حقّاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الابل، وإن طال السرى.

وقوله(عليه السلام): ما زلت مستأثراً عليَّ مدفوعاً عمّا أستحقه وأستوجبه(7).

[59]

معرفة الله

عن الأصبغ بن نباتة، قال: لما جلس عليّ(عليه السلام) في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لابساً بردة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) متقلداً سيف رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فصعد المنبر فجلس(عليه السلام)متمكناً، ثمّ شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمّ قال:

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) هذا ما زقني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) زقاً زقاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين(8).

فقام إليه رجل يقال له ذِعْلَبْ اليمني ـ وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب، شجاع القلب ـ فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة، لأخجلنه اليوم لكم في مسألتي إياه، فقال: يا أميرالمؤمنين! هل رأيت ربّك؟

قال(عليه السلام): ويلك يا ذعلب، لم أكن بالذي أعبد ربّاً لم أره!

فقال: فكيف رأيته؟ صفه لنا.

قال: ويلك، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الأيمان، ويلك يا ذعلب، إنّ ربّي لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة، لا يوصف باللطف، عظيم العظمة، لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء، لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة، لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة، لا يوصف بالرقة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمحسة، قائل لا باللفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلّ شيء فلا يقال: شيء فوقه، وأمام كلّ شيء فلا يقال: له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

فخر ذعلب مغشياً عليه، ثمّ قال: تالله، ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها(9).

[60]

إن الشيطان قد استفلهم

كان الخريت بن راشد، مع ثلاثمائة رجل من بني ناجية مقيمين مع عليّ(عليه السلام) بالكوفة قدموا معه من البصرة، وكانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل، وشهدوا معه صفين والنهروان، فجاء إلى عليّ(عليه السلام) في ثلاثين راكباً من أصحابه، فقال له: والله يا عليّ لا أطيع أمرك ولا أُصلي خلفك وإنّي غداً لمفارقك.

فقال له عليّ(عليه السلام): ثكلتك أُمك، إذا تعصي ربّك وتنكث عهدك ولا تضر إلاّ نفسك، خبرني لِمَ تفعل ذلك.

قال: لأ نّك حكمت في الكتاب وضعفت عن الحقّ إذا جد الجد، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليهم زار، وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين.

فقال له عليّ(عليه السلام): هلم أدارسك الكتاب، وأُناظرك في السنن، وأُفاتحك أُموراً من الحقّ أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكر، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل.

قال: فإنّي عائد إليك.

قال: لا يستهوينك الشيطان، ولا يستخفنك الجهل، ووالله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد.

فنفر الخريت مع أصحابه ليلا ولم يعد إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام)، فأرسل(عليه السلام) رجلا من أصحابه يستعلم حالهم، فلما عاد إليه الرجل قال له: أأمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟ فقال الرجل: بل ظعنوا يا أميرالمؤمنين.

فقال(عليه السلام): بُعْداً لَهُمْ (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الأسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ، وَمُخْلٍ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلاَلِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِيهِ»(10).

[61]

عليّ(عليه السلام) يتحرّق شوقاً لأصحابه الشهداء

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا أميرالمؤمنين(عليه السلام) بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأن جبينه ثفنة بعير. فقال(عليه السلام): «الْحَمْدُ لله الَّذِي إلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً.

ثمّ قال(عليه السلام): أَيُّهَا النَّاسُ، إنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا. لله أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟ أَلاَ إنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُالله الأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لاَ يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الأخِرَةِ لاَيَفْنَى.

مَا ضَرَّ إخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ ـ وَهُمْ بِصِفِّينَ ـ أَلاَّ يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ! قَدْ ـ وَاللهِ ـ لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ!

أَيْنَ إخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُوالشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إلَى الْفَجَرَةِ؟

قال: ثمّ ضرب(عليه السلام) بيده إلى لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثمّ قال(عليه السلام): أَوْهِ عَلَى إخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوا.

ثمّ نادى بأعلى صوته:

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللهِ! أَلاَ وَإنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إلَى اللهِ فَلْيَخْرُجْ.

قال نوْفٌ: وعقد للحسين في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنّا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كلّ مكان!(11).

[62]

تواضع موسى وأخيه (عليهما السلام)

كان موسى(عليه السلام) من الأنبياء أُولوا العزم، عاش هو وأخيه هارون في زمن فرعون مصر، يتحدّث أميرالمؤمنين(عليه السلام) عن قصتهم مع فرعون عصرهم قائلا:

«فَإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ. وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ صلّى الله عليهما عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟ إعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ! وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ

جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّة فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَة تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً، وَخَصَاصَة تَمْلأُ الأَبْصَارَ وَالأَسْمَاعَ أَذىً»(12).

وقد وردت هذه المفاهيم في القرآن الكريم في سورة الزخرف(13)حيث قال تعالى: (وَلَـقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلأِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَة إلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَب أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ).

قال أرباب السير: قدم موسى وأخوه هارون مصر على فرعون، لما بعثهما الله تعالى إليه حتى وقفا على بابه يلتمسان الاذن عليه، فمكثا سنين يغدوان على بابه ويروحان، لا يعلم بهما، ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما ـ وقد كانا قالا لمن بالباب انا رسولا ربّ العالمين إلى فرعون ـ حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه. فقال له: أيّها الملك إن على الباب رجلا يقول قولا عجيباً عظيماً، ويزعم أن له الهاً غيرك، قال: ببابي؟ قال: نعم، قال: ادخلوه، فدخل وبيده عصاه، ومعه هارون أخوه، فقال: انا رسول ربّ العالمين إليك(14).

[63]

محاربة الخوارج

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) متحدّثاً عن الخوارج: «أَلاَ وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلاَمِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

أَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَة سَمِعْتُ لَهَا وَجْبَةَ قَلْبِهِوَرَجَّةَ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَلَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلاَّ مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ تَشَذُّراً»(15).

قال ابن أبي الحديد: قد ثبت عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أ نّه قال لأميرالمؤمنين(عليه السلام): ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، فكان الناكثون أصحاب الجمل، لأنّهم نكثوا بيعته(عليه السلام)، وكان القاسطون أهل الشام بصفين، وكان المارقون الخوارج في النهروان. وفي الفرق الثلاث قال الله تعالى: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَـفْسِهِ)، وقال: (وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً).

وقال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم): يخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئاً، فينظر في الفوق، فلا يجد شيئاً، سبق الفرث والدم.

وهذا الخبر من اعلام نبوته(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن اخباره المفصلة بالغيوب. وأمّا شيطان الردهة، فقد قال قوم أ نّه ذو الثدية صاحب النهروان. ويقول البعض: إن ذا الثدية لم يقتل بسيف، ولكن الله رماه يوم النهروان بصاعقة، وإليها أشار(عليه السلام) بقوله: فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه، وقال قوم: شيطان الردهة أحد الأبالسة المردة من أعوان عدو الله إبليس، ورووا في ذلك خبراً عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وانّه كان يتعوّذ منه. والردهة: شبه نقرة في الجبل يجتمع فيهاالماء،

وهذا مثل قوله(عليه السلام):هذا ازب العقبة،أي شيطانها،ولعل ازب العقبة هو شيطان الردهة بعينه، فتارة يرد بهذا اللفظ،وتارة يرد بذلك اللفظ.

أمّا قوله(عليه السلام): ويتشذر في أطراف الأرض، يتمزق ويتبدد ومنه قولهم: ذهبوا شذر مذر. والبقية الّتي بقيت من أهل البغي معاوية وأصحابه، لأنه(عليه السلام) لم يكن أتى عليهم بأجمعهم، وإنما وقفت الحرب بينه وبينهم بمكيدة التحكيم.

وقوله(عليه السلام): ولئن أذن الله في الكرة عليهم، أي إن مدّ لي في العمر لأديلن منهم، أي لتكونن الدولة لي عليهم، وأدلت من فلان أي غلبته وقهرته، وصرت ذا دولة عليه(16).

[64]

خصال عليّ(عليه السلام) في طفولته

يقول أميرالمؤمنين(عليه السلام) في خطبته القاصعة (الّتي تعتبر أكبر خطبة في نهج البلاغة):

«أَنَا وَضَعْتُ بِكَلاَكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْل، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْل.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بِهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَك مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالإِقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْر»(17).

ونذكر هنا حادثة تاريخية تتحدث عن حماية الإمام عليّ(عليه السلام) في شبابه لرَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) :

عن أبي عبدالله(عليه السلام) انّه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه عليّ(عليه السلام) يا قضيم؟ قال: ان رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب واغروا به الصبيان وكانوا إذا خرج رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) يرمونه بالحجارة والتراب فشكى ذلك إلى عليّ(عليه السلام)فقال: بأبي أنت وأمي يا رَسُولِ اللهِ إذا خرجت فأخرجني معك فخرج رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه أميرالمؤمنين(عليه السلام) فتعرض الصبيان لرَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)كعادتهم فحمل عليهم أميرالمؤمنين(عليه السلام) وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا عليّ، قضمنا عليّ، فسمي لذلك «القضيم»(18).

[65]

عناد المشركين وصلابة عليّ(عليه السلام)

ويستمر أميرالمؤمنين(عليه السلام) بالحديث عن علاقته برَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)فيقول:

«وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) لَمَّا أَتاهُ المَلأُ مِنْ قُرَيْش، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسَأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ(صلى الله عليه وآله وسلم) لهم: «وَمَا تَسْأَلُونَ؟».

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ(صلى الله عليه وآله وسلم): «إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ ذلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟».

قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْر، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ».

ثُمَّ قَالَ(صلى الله عليه وآله وسلم): «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ».

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ(صلى الله عليه وآله وسلم).

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ قَالُوا ـ عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً ـ : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا.

فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَال وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم). فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ : فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) فَرَجَعَ. فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِن بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا! يَعْنُونَنِي.

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْم لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِم، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَيَعْلُونَ، وَلاَيَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ(19)!

[66]

المعراج الصافي

روي أن صاحباً لأميرالمؤمنين(عليه السلام) يقال له همام. كان رجلا عابداً، فقال له: يا أميرالمؤمنين: صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل(عليه السلام) عن جوابه، ثمّ قال: يا همام اتق الله وأحسن فـ (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)(20) فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ قال(عليه السلام):

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ خَلَقَ الْخَلْقَ ـ حِينَ خَلَقَهُمْ ـ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ... إلى أن قال(عليه السلام):

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ.

غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ.

نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ.

لَوْ لاَ الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ...

وهكذا أخذ الإمام(عليه السلام) يعدد صفات المتّقين حتى عدّ أكثر من ثلاثين صفة لهم، إلى أن قال:

بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة.

قال: فصعف همام صعقة كانت نفسه فيها.

فقال أميرالمؤمنين(عليه السلام): أما والله لقد كنت أخافها عليه.

ثمّ قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها!

فقال له قائل: فما بالك يا أميرالمؤمنين!

فقال(عليه السلام): ويحك، إن لكل أجل وقتاً لا يعدوه، وسبباً لا يتجاوزه، فمهلا لا تعد لمثلها، فإنّما نفث الشيطان على لسانك(21)!

وهمام المذكور في هذه الخطبة: هو همام بن شريح بن يزيد، كان من شيعة أميرالمؤمنين(عليه السلام) وأوليائه، وكان ناسكاً عابداً.

[67]

علاقة عليّ(عليه السلام) بِرَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

من خطبة لأميرالمؤمنين(عليه السلام) متحدّثاً فيها عن الذين حاولوا اثارة الشبهات والشكوك عن علاقته بِرَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) فهو يقول:

«وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ(22)، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ الأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي.

وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي.

وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) وَالْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَةُ، مَلأٌ يُهْبِطُ، وَمَلأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ.

فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذِي لاَإِلهَ إِلاَّ هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ»(23).

[68]

من هو السياسي؟

يرى بعض المؤرخين، ان معاوية أكثر سياسة من أميرالمؤمنين(عليه السلام)لاستطاعته استلام الحكم وتحويل الهزيمة الّتي كانت محدقه به وبجيشه في معركة صفين إلى نصر سياسي كبير بعد أن استطاع رفع المصاحف وانهاء المعركة ومن ثمّ تحكيم الحكمين... ولكن الإمام عليّ(عليه السلام) يرى عكس ذلك، فمعاوية لم يستخدم السياسة المشروعة في الدين إنّما استخدم المكر والخديعة.

يقول أميرالمؤمنين(عليه السلام):

«وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنّي، وَلكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَة فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَة كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِر لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَاللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بالْمَكِيدَةِ، وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بالشَّدِيدَةِ»(24).

والحاصل: إنّه لا يجوز الغدر من أحد بالنسبة إلى الآخر حتى مع الكفّار إلاّ في موضع خاص استثني ذلك خرج بالنص وذلك في الجهاد مع الكفار، فلا بأس بالغدر والحيلة لأجل الغلبة على العدو والخصم، بل ويجوز المحاربة بكلّ فعل يؤدي إلى ضعفهم والظفر بهم كهدم الحصون وقطع الأشجار حيث يتوقف، وقد وقع من النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أمثال ذلك في بعض الغزوات منها في الطائف وقد قطع أشجار الطائف وخرب ديار بني النضير وأحرق عليهم، وكذا يجوز إرسال الماء عليهم ومنعه عنهم والقاء السم إذا توقف الفتح للمسلمين على ذلك، وكذلك يجوز التبييت ـ يعني النزول عليهم غيلة في الليل ـ كما فعل أميرالمؤمنين(عليه السلام) في ذات السلاسل(25).

[69]

عليّ(عليه السلام) يقف على قبر الزهراء(عليها السلام)

صلّى أميرالمؤمنين(عليه السلام) صلاة الظهر وأقبل يريد المنزل إذا استقبلته الجواري (فضّة وأسماء بنت عميس) باكيات حزينات، فقال(عليه السلام) لهنَّ: ما الخبر ومالي أراكن متغيرات الوجوه والصور؟

فقالوا: يا أميرالمؤمنين أدرك ابنة ابن عمك الزهراء، وما نظنك تدركها.

فأقبل أميرالمؤمنين(عليه السلام) مسرعاً حتى دخل عليها، وإذا بها ملقاة على فراشها، وهي تقبض يميناً وتمد شمالا... فأقبل حتى أخذ رأسها وتركه في حجره، وناداها: يا زهراء، فلم تكلمه، فناداها: يا بنت محمّد المصطفى، فلم تكلمه، فناداها: يا بنت من حمل الزكاة في طرف ردائه وبذلها على الفقراء، فلم تكلمه، فناداها: يا بنت من صلّى بالملائكة في السماء مثنى مثنى، فلم تكلمه، فناداها: يا فاطمة، كلميني فأنا ابن عمك عليّ بن أبي طالب.

قال: ففتحت عينيها في وجهه ونظرت إليه وبكت وبكى وقال: ما الّذي تجدينه فأنا ابن عمك عليّ بن أبي طالب؟

فقالت: يا ابن العم إنّي أجد الموت الّذي لابدّ منه ولا محيص عنه، وأنا أعلم أ نّك بعدي لا تصبر على قلة التزويج، فإن أنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة واجعل لأولادي يوماً وليلة، يا أبا الحسن ولا تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنّهما بالأمس فقدا جدّهما واليوم يفقدان أُمّهما، فالويل لأُمّة تقتلهما وتبغضهما، ثمّ أنشأت تقول:

ابكني إن بكيت يا خير هادي *** واسبل الدمع فهو يوم الفراق

يا قرين البتول أُوصيك بالنسل *** فقد أصبحا حليف اشتياق

ابكنى وابك لليتامى ولا تنـ *** ـس قتيل العدى بطف العراق

فارقوني فأصبحوا يتامى حيارى *** يخلف الله فهو يوم الفراق

فلما أكملت الزهراء(عليها السلام) وصيتها انتقلت روحها الطاهرة إلى بارئها تشكو ظلم الظالمين، فلما واراها وألحدها في لحدها هاج به الحزن، فأنشأ هذه الأبيات:

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة *** وصاحبها حتى الممات عليل

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة *** وإن بقائي عندكم لقليل

وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد *** دليل على أن لا يدوم خليل(26)

ثمّ قال(عليه السلام): السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ!

قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلاَّ أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ.

(إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ. هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالْسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ وَلاَ سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ»(27).

(1) ذكر ابن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة (3/293): ان القرابة لابن دودان (ذوذان - خ ل) من جانب زينب بنت جحش زوجة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

(2) فاطر: 8.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/241، المسترشد، الطبري الشيعي: 371.

(4) السيقة: ما استاقه العدو من الدواب، مثل الوسيقة، قال الشاعر:

فما أنا إلاّ مثل سيقة العدا *** إن استقدمت بحر وإن جبأت عقر

(5) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/261.

(6) نهج السعادة: 1/269.

(7) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/305.

(8) نهج البلاغة: 2/130.

(9) الإمام عليّ(عليه السلام): 352.

(10) نهج البلاغة: 2/102، نهج السعادة 5/173.

(11) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 10/99.

(12) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/152.

(13) الآيات 46 - 54.

(14) منهاج البراعة: 11/320.

(15) نهج البلاغة: 2/156.

(16) شرح نهج البلاغة: 13/183.

(17) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/197.

(18) تفسير القمي1/114.

(19) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/212.

(20) النحل: 128.

(21) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 10/132.

(22) قال ابن أبي الحديد: والظاهر أ نّه يرمز في هذا القول إلى أُمور وقعت من غيره، كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح، فإن بعض الصحابة (عمر بن الخطاب) أنكر ذلك، وقال: يا رسول الله ألسنا المسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا الكافرين؟ قال: بلى، قال: فكيف نعطي الدنية في ديننا! فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): إنّما أعمل بما أُؤمر به، فقام فقال لقوم من الصحابة: ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة! وها نحن قد صددنا عنهاننصرف بعد أن أعطينا الدنية في ديننا، والله لو أجد أعواناً لم أعط الدنية أبداً، فقال أبو بكر لهذا القائل: ويحك! الزم غرزه، فو الله إنّه لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأن الله لا يضيعه. راجع شرح نهج البلاغة: 10/179.

(23) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 10/179.

(24) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 10/211.

(25) شجرة طوبى: 2/294.

(26) اللمعة البيضاء: 858.

(27) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 10/265.

[70]

رحمة أهل الحقّ

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما: «لَقَدْ نَقَمْتُما يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً، أَلاَ تُخْبِرَانِي، أَيُّ شَيْء لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ وأَيُّ قَسْم اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ ؟!

وَاللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ، وَلاَ فِي الْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ، وَلكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ; وَلَوْ كَانَ ذلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلاَ وَلِيتُهُ هَوىً مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُما مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللهِ، عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هذَا عُتْبَى.

أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثمّ قال:

رَحِمَ اللهُ رَجُلاً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ»(1).

[71]

رعاية أُصول الأدب وعفّة الكلام

خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما عليّ(عليه السلام) إن كفّا عمّا يبلغني عنكما، فأتياه فقالا: يا أميرالمؤمنين ألسنا محقّين؟

قال: بلى. قالا: أوليسوا مبطلين؟

قال: بلى لا. قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟

قال(عليه السلام): «كرهت لكم أَنْ تَكُونُوا لعانين شتامين تشتمون وتتبرؤن، ولكن لَوْ وَصَفْتُمْ مساوي أَعْمَالَهُمْ فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا، كان أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ لعنكم إِيَّاهُمْ وبراءتكم منهم: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ منهم مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ كان هذا أحب إليَّ وخيراً لكم».

فقالا: يا أميرالمؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك(2).

وفي القرآن الكريم نظير هذا الكلام، إذ قال تعالى: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْم)(3).

ومن هنا نلاحظ انّ القرآن الكريم ونهج البلاغة وضّحوا السبيل والقانون الّذي يجب أن يتخذه المسلمون في التعامل مع الأعداء، فالموعظة الحسنة، ومراعاة أُصول الأدب والعفة في بيان الأمور، يمكن جلب الناس إلى جادة الصواب، وهو عكس الاسلوب الّذي كان يستخدمه أعداء أميرالمؤمنين(عليه السلام).

[72]

الحسن والحسين في معركة صفين

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن والحسين(عليهما السلام) يتشرع إلى الحرب:

«امْلِكُوا عنّي هذَا الْغُلاَمَ لاَ يَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهذَيْنِ ـ يَعْنِي الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ(عليهما السلام) ـ عَلَى الْمَوْتِ، لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)»(4).

وقيل يوماً لمحمّد ابن الحنفية، (وهو ابن آخر لأميرالمؤمنين(عليه السلام)): لِمَ يغرر بك أبوك في الحرب ولِمَ لا يغرر بالحسن والحسين؟

فقال: لأ نّهما عيناه وأنا يمينه، فهو يذبّ عن عينيه بيمينه(5).

وبمناسبة هذه القصة، ننقل قصة لطيفة أُخرى تتعلّق بالحسن والحسين(عليهما السلام):

قال عامر الشعبي: بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيت فقمت فتوضأت وأوصيت ثمّ دخلت عليه فنظرت فإذا نطع منشور والسيف مسلول، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام فقال: لا تخف فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر وأجلسني عنده ثمّ أشار فأتي برجل مقيد مكبول والأغلال فوضعوه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول: إن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ليأتيني بحجّة من القرآن وإلاّ لأضربن عنقه.

فقلت: يجب أن تحل قيده فإنّه إذا احتج فإنّه لا محالة يذهب وإن لم يحتج فإن السيف لا يقطع هذا الحديد. فحلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير فحزنت بذلك وقلت: كيف يجد حجة على ذلك من القرآن، فقال له الحجاج: ائتني بحجة من القرآن على ما ادعيت وإلاّ أضرب عنقك.

فقال له: انتظر، فسكت ساعة ثمّ قال له مثل ذلك، فقال: انتظر! فسكت ساعة ثمّ قال له مثل ذلك فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثمّ قال: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ثمّ سكت وقال للحجاج: اقرء ما بعده فقرأ: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى؟ قال: إنّه كان من ذريته، قال: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنته فينسب إليه معه إلى داره وأذن له في الرجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب عليَّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن لأ نّي كنت أظن أ نّي أعرفها فإذا أنا لا أعرفها فأتيته فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرقها عشراً عشراً ويتصدق بها ثمّ قال: هذا كله ببركة الحسن والحسين(عليهما السلام)، لئن كنا أغممنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)(6).

[73]

اسلوب الحياة في اللباس والغذاء و...

دخل الإمام عليّ(عليه السلام) على العلاء بن زياد الحارثي يعوده، فلما رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أمّا أنت إليها في الآخرة كنت أحوج؟ وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

فقال له العلاء: يا أميرالمؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قال: وماله؟

قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا.

قال: عليَّ به، فلما جاء قال: يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك.

فقال عاصم: يا أميرالمؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مطعمك؟

قال: ويحك إنّي لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره(7).

ففي هذه القصة نرى الإمام(عليه السلام) يلوم العلاء على سعة داره، ويتّخذ لومه سبيلا إلى بيان وجوه الانتفاع بها، فيشير إلى أ نّه لا حرج على المرء في أن يجمع بين الدنيا والآخرة، فيمتع نفسه في الدنيا بمباهجها، ويبلغ في الآخرة عليا الدرجات. ثمّ يؤنب عاصماً على فعله حين هجر الدنيا ولبس العباءة، فبيّن له أ نّه بفعله هذا أناني يعمل لنفسه، إذ أن جدوى عمله لو استطاعه ووالاه لا ترجع إلاّ إليه، وأمّا غيره من الناس فلا يصيب منه نفعاً وخاصة أهله وولده وهم ألصق الناس به، وبيّن أنّ من الخير له أن يجمع بين العمل لنفسه والعمل لغيره، وأن يجمع بين الدنيا والآخرة. والطيبات هل حرمها الله؟ كلا ان الإنسان مدعو لأن يصيب منها شريطة ألا يستغرق فيها على نحو يلهيه عن الغاية الرفيعة لوجوده.

لذا نرى الإمام في هذه القصّة أعطانا العديد من الدروس والعبر، منها: عيادة المريض، والنهي عن الاسراف، وعن نسيان الإنسان نصيبه من الدنيا، وتوضيح وظيفة القائد في حياته العامّة.

وفي حديث الكافي نجد انّ عاصم لمّا سمع كلام الإمام هذا ترك لباسه الخشن، ولبس لباس آخر(8).

وبالمناسبة، نذكر الرواية الآتية:

عن حمّاد بن عثمان قال: حضرت أبا عبدالله وقال له رجل: أصلحك الله ذكرت أن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجديد.

فقال له: إنّ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر عليه، ولو لبس مثل ذلك اليوم شهّر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا أهل البيت(عليهم السلام) إذا قام لبس ثياب عليّ(عليه السلام) وسار بسيرة عليّ(عليه السلام)(9).

[74]

وجهاً لوجه

من خطبة لأميرالمؤمنين(عليه السلام) بصفين: «أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لاَيَجْرِي لِاَحَد إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ، وَلَوْ

كَانَ لِأَحَد أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذلِكَ خَالِصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثمّ قال(عليه السلام): وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِكُلّ عَلَى كُلّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَاالسُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِل فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ.

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَى العِبَادِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ امْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْق أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلاَ امْرُؤٌ ـ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ ـ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلى ذلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فأجابه(عليه السلام) رجل من أصحابه بكلام طويل، يكثر فيه الثناء عليه، ويذكر سمعه وطاعته له.

فقال(عليه السلام): إِنَّ مِنْ حَقّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى أَحَد إِلاَّ ازْدَادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَماً، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ. وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ كَذلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لله سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ.

وفي ختام خطبته قال(عليه السلام): فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى»(10).

وقد جاء في الرواية ان الحواريين قالوا: يا عيسى! ما الاخلاص لله؟

قال: أن يعمل الرجل العمل لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس، والمناصح لله الّذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس، يؤثر حق الله على حق الناس، وإذا عرض أمران: أحدهما للدنيا، والآخر للآخرة، بدأ بأمر الآخرة قبل أمر الدنيا(11).

[75]

وقوف عليّ(عليه السلام) على جنازة طلحة

طلحة بن عبيدالله بن عثمان القرشي التيمي، وأمه الصعبة بنت عبدالله، لما أسلم طلحة والزبير آخى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بينهما بمكة قبل الهجرة، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بين طلحة وبين أبي

أيوب الأنصاري، لم يشهد بدراً وشهد أُحداً ووقى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه واتقى عنه النبل بيده حتى شلت اصبعه.

روى موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: سمّاني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)يوم أُحد طلحة الخير، ويوم العسرة طلحة الفياض، ويوم حنين طلحة الجود.

وقتل طلحة يوم الجمل وكان شهد ذلك اليوم محارباً لعليّ بن أبي طالب(عليه السلام) فزعم بعض أهل العلم أن علياً دعاه فذكره أشياء من سوابقه على ما قال للزبير فرجع عن قتاله واعتزل في بعض الصفوف فرمى بسهم في رجله، وقيل: ان السهم أصاب ثغرة نحره فمات رماه مروان بن الحكم.

روى يحيى بن سعيد قال: قال طلحة يوم الجمل:

ندمت ندامة الكسعى لما *** شريت رضى بني جرم برغمي

ولما انهزم أهل البصرة ركب عليّ(عليه السلام) بغلة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الشهباء، وكانت باقية عنده، وسار في القتلى يستعرضهم، فمر بطلحة بن عبيدالله قتيلا، فقال: أجلسوه، فأجلس، فقال: ويلمك أمك طلحة! لقد كان لك قدم لو نفعك! ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار.

ثمّ قال(عليه السلام): «لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّد بِهذَا الْمَكَانِ غَرِيباً! أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاف، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْر لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دوُنَهُ»(12).

ثمّ مر بكعب بن سور، وعبدالله بن خلف الخزاعي، وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد، ومعبد بن المقداد، ومعبد بن زهير بن أبي أمية، ومسلم بن قرظة، وغيرهم(13).

[76]

أنين عقيل من حرارة الحديد

كان لفاطمة بنت أسد، أُم عليّ(عليه السلام) أربعة أولاد، وهم على الترتيب: طالب، عقيل، جعفر، وعليّ(عليه السلام)، فكان عقيل ثاني أبناء أبو طالب كان واعي وشجاع وسريع الجواب، وكان حاضراً في معركة صفين مع أميرالمؤمنين(عليه السلام)، وكما وقف عقيل مع أخيه الإمام عليّ(عليه السلام) ضد أعداءه، وقف ابنه مسلم بن عقيل مع ابن عمّه الإمام الحسين(عليه السلام) في واقعة كربلاء.

يقول الإمام عليّ(عليه السلام) في خطبة له:

«وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمَعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَف مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ : ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَة أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَار سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً؟!»(14).

سأل معاوية عقيلا يوماً عن قصة الحديدة المحماة، فبكى وقال: نعم، أقويت وأصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضر ظاهران عليهم. فقال: ائتني عشية لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي فأمره

بالتنحي، ثمّ قال: ألا فدونك! فأهويت حريضاً قد غلبني الجشع أظنها صرة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً! فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي: ثكلتك أُمك! هذا من حديدة أوقدت له نار الدنيا، فكيف بي وبك غداً إن سلكنا في سلاسل جهنم؟ ثمّ قرأ: (إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ)(15) ثمّ قال: ليس لك عندي فوق حقك الّذي فرضه الله لك إلاّ ماترى، فانصرف إلى أهلك.

فجعل معاوية يتعجّب ويقول: هيهات! هيهات! عقمت النساء أن يلدن مثله(16).

[77]

رشوة أم هدية؟

كان الأشعث بن قيس رأس المنافقين في زمن أميرالمؤمنين(عليه السلام)ونتيجة حقده الدفين على الإمام عليّ(عليه السلام) فقد لعب الأشعث دوراً كبيراً في تمرير مؤامرة «التحكيم» والدفاع عنها والّتي كانت السبب الأساسي لنشوء الخوارج وبالتالي لنشوب معركة النهروان، ولذا نجد ان ابن أبي الحديد يقول في حقّ الأشعث:

«كلّ فتنة أو فساد كان في خلافة أميرالمؤمنين(عليه السلام) وكلّ اضطراب فأصله الأشعث».

ولقد قام الأشعث ببناء منارة على منزله في الكوفة يرد منها على أذان أميرالمؤمنين(عليه السلام) وقت الصلاة، حيث كان يردّ على صوت الإمام أثناء الأذان، فيقول: «يا رجل، أنت أكبر كذّاب وساحر!!»(17).

قال الإمام الصادق(عليه السلام): اشترك الأشعث في دم عليّ(عليه السلام)، وابنته جعدة سمّت الحسن(عليه السلام)، ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين(عليه السلام)(18).

ونعود لأصل القصة: فلقد حول الأشعث أن يقدم هدية إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) أثناء خلافته للتقرّب إليه وبالتالي محاولة حصوله على مكاسب دنيوية منه. لقد قام الأشعث بتهيئة الحلوى وذهب بها مساءً إلى منزل عليّ(عليه السلام).

يقول الإمام عليّ(عليه السلام) عن هذه الواقعة:

«وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَة فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَة شَنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّة أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ!

فقال الأشعث: لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ!

فَقال(عليه السلام): هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ أَمْ ذُو جِنَّة، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَة أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَة مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لاَهْوَنُ مِنْ وَرَقَة فِي فَمِ جَرَادَة تَقْضَمُهَا، مَا لِعَلِيّ وَلِنَعِيم يَفْنَى، وَلَذَّة لاَ تَبْقَى!

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ»(19).

لقد ظنّ الأشعث أ نّه يستميل الإمام(عليه السلام) بالمهاداة لغرض دنيوي كان في نفسه، وكان أميرالمؤمنين(عليه السلام) يفطن لذلك ويعلمه ولذلك ردّ هدية الأشعث ولولا ذلك لقبلها لأنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الهدية وقد قبل عليّ(عليه السلام)هدايا جماعة من أصحابه.

[78]

حزن الإمام(عليه السلام) على أحد أصحابه الأوفياء

كان مالك الأشتر من الأوفياء لأميرالمؤمنين(عليه السلام) فلما بلغ عليّاً(عليه السلام)شهادة الأشتر، قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون! ثمّ قال: لله در مَالكٌ! وَمَا مَالِكٌ»(20).

قال علقمة: فما زال عليّ يتلهف ويتأسف، حتى ظننا أ نّه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً.

وقال إبراهيم: لما بلغ عليّاً(عليه السلام) شهادة الأشتر، قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إنّي أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر.

ثمّ قال: رحم الله مالكاً، فلقد وفى بعهده، وقضى نحبه، ولقى ربّه، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فإنّها من أعظم المصيبات.

وعن المدائني: عن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على أميرالمؤمنين حين بلغه موت الأشتر، فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه،قال: لله در مَالكٌ! وَمَا مَالِكٌ! لو كان من جبل لكان فندا(21) ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدن موتك عالماً، وليفرحن عالماً(22) على مثل مالك فلتبك البواكي! وهل موجود كمالك!(23)

[79]

العدالة في تقسيم بيت المال

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) كلّم به عبدالله بن زمعة وهو من شيعته وذلك أ نّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا فقال(عليه السلام): «إِنَّ هذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلاَ لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ»(24).

وقال عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، قال: شهدت عليّاً(عليه السلام) وقد جاءه مال من الجبل، فقام وقمنا معه، وجاء الناس يزدحمون، فأخذ حبالا فوصلها بيده، وعقد بعضها إلى بعض، ثمّ أدارها حول المال، وقال: لا أحل لأحد أن يجاوز هذا الجبل، قال: فقعد الناس كلهم من وراء الجبل، ودخل هو، فقال: أين رؤوس الأسباع؟ ـ وكانت الكوفة يومئذ أسباعاً ـ فجعلوا يحملون هذه الجوالق إلى هذه الجوالق، وهذا إلى هذا، حتى استوت القسمة سبعة أجزاء، ووجد مع المتاع رغيف، فقال: اكسروه سبع كسر، وضعوا على كل جزء كسرة، ثمّ قال:

هذا جناي وخياره فيه *** إذ كلّ جان يده إلى فيه

ثمّ أقرع عليها ودفعها إلى رؤوس الأسباع، فجعل كلّ رجل منهم يدعو قومه فيحملون الجواليق(25).

وجاء في رواية أُخرى عن ابن نباته أ نّه قال: كان أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) إذا أُتي بالمال أدخله بيت مال المسلمين، ثمّ جمع المستحقين، ثمّ ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء لا تغريني، غرّي غيري.

هذا جناي وخياره فيه *** إذ كلّ جان يده إلى فيه

ثمّ لا يخرج حتى يفرق ما في بيت مال المسلمين ويؤتي كلّ ذي حق حقه، ثمّ يأمر أن يكنس ويرش، ثمّ يصلّي فيه ركعتين، ثمّ يطلق الدنيا ثلاثاً يقول بعد التسليم: يا دنيا لا تتعرضين لي ولا تتشوقين إليَّ ولا تغريني، فقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك(26).

لقد كان(عليه السلام) بهذا أول من اخترع نظام التفتيش، ولقد كان يكتب إلى ولاته: «إنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمة» وليس الولاة أعضاء في شركة مساهمة هدفها أن تستغل الأُمة وإنّما هم ككما كان يكتب إليهم «خزان الرعية، ووكلاء الأُمة، وسفراء الأئمة» وكون الأموال العامة هي أموال الأُمة مفهوم لم يأخذ صيغته الحقة إلاّ على لسان الإمام(عليه السلام) وفي أعماله(27).

[80]

اللسان بضعة من الإنسان

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) قاله لجعدة بنت هبيرة:

«أَلاَ وإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصونُهُ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَ نَّكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ،عَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ، لايُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ»(28).

وجعدة بن هبيرة المخزومي هو ابن أُخت الإمام(عليه السلام) «أُم هاني» حيث أراد جعدة أن يخطب الناس يوماً، فصعد المنبر، فحصر ولم يستطع الكلام، فقام أميرالمؤمنين(عليه السلام) فتسنم ذروة المنبر، وخطب خطبة طويلة، كانت تلك الكلمات من ضمنها.

[81]

حزن الإمام(عليه السلام) الشديد على فراق الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

من الأُمور الّتي اختصّ بها أميرالمؤمنين(عليه السلام) هو انّه تولّى غسل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وتجهيزه وتكفينه بينما كان القوم يتصارعون في سقيفة بني ساعدة حول خلافة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

فعندما اقتربت الوفاة من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، أخذ أميرالمؤمنين(عليه السلام)رأس النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) فوضعه في حجره، ومد يده اليمنى تحت حنكه، وقد شرع ملك الموت بقبض روحه الطاهرة، والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يعاني آلام الموت وشدة الفزع حتى فاضت روحه الزكية فمسح بها الإمام وجهه، ومادت الأرض، وخبا نور العدل والحقّ، ومضى من كانت حياته رحمة ونوراً للناس جميعاً، فما أُصيبت الإنسانية بكارثة أقسى من هذه الكارثة، لقد مات القائد والمنقذ والمعلم، واحتجب ذلك النور الّذي أضاء الطريق للإنسان هداه إلى سواء السبيل، ووجم المسلمون وطاشت أحلامهم، وعلاهم الفزع، والجزع، والذعر.

وكان ممّا قاله أميرالمؤمنين(عليه السلام) وهو يلي غسل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وتجهيزه:

«بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَمْتَ حَتّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَواءً، وَلَوْ لاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلاَّ لَكَ! وَلكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ!

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!»(29).

[82]

كتاب عثمان لعليّ(عليه السلام) وجواب عليّ(عليه السلام)

من كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) قاله لعبدالله بن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع(30) ليقل هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال(عليه السلام):

«يَابْنَ عَبَّاس، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلاَّ أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ، أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَ الاْنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً».

وبهذه الكلمات يتّضح موقف الإمام(عليه السلام) من خلافة عثمان وحرصه على وحدة المسلمين والحفاظ على الكيان الإسلامي، فهو يقول: «لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً»(31).

[83]

منزل بثمانين دينار

شريح القاضي، هو شريح بن الحارث الكندي ويكنى أبا أُمية، استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة، فلم يزل قاضياً ستين سنة، لم يتعطل فيها إلاّ ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير، امتنع من القضاء، ثمّ استعفى الحجاج من العمل فأعفاه، فلزم منزله إلى أن مات وعمّر عمراً طويلا، قيل: إنّه عاش مائة وثمان سنين، وقيل: مائة سنة، وتوفي سنة سبع وثمانين.

كان شريح خفيف الروح مزاحاً، فقدم إليه رجلان فأقر أحدهما بما ادعى به خصمه وهو لا يعلم، فقضى عليه، فقال لشريح: من شهد عندك بهذا؟ قال: ابن اخت خالك!

وقيل: إنّه جاءته امرأة تبكي وتتظلم على خصمها، فمارق لها حتى قال له إنسان كان بحضرته: ألا تنظر أيها القاضي إلى بكائها؟ فقال: إن اخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون.

وأقر عليّ(عليه السلام) شريحاً على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه مذكورة في كتب الفقهاء، وسخط عليّ(عليه السلام) مرة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء، وأمره بالمقام ببانقيا، وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنيها اليهود فأقام بها مدة حتى رضي عنه، وأعاده إلى الكوفة.

وهناك مثل تضربه العرب حول شريح، وهو: إنّ شريحاً أدهى من الثعلب. وقصة هذا المثل: انّ شريحاً خرج أيام الطاعون إلى النجف فكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه فيحاكيه ويحيل بين يديه فيشغله عن صلاته، فلما ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميه وجعل قلنسوته وعمامته عليه فأقبل الثعلب فوقف على عادته فوقف شريح من خلفه فأخذه بغتة فلذلك يقال: هو أدهى من الثعلب وأحيل(32).

أمّا قصة دار شريح، فقد روى عاصم بن بهدلة قال: قال لي شريح القاضي:

اشتريت داراً بثمانين ديناراً وكتبت كتاباً، وأشهدت عدولا فبلغ ذلك أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) فبعث إليَّ مولاه قنبراً فأتيته، فلما أن دخلت عليه قال:

يا شريح اشتريت داراً وكتبت كتاباً وأشهدت عدولا ووزنت مالا؟

قال: قلت: نعم.

قال: يا شريح اتق الله فإنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسئل عن بينتك، حتى يخرجك من دارك شاخصاً ويسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها، ووزنت مالا من غير حله، فإذا أنت قد خسرت الدارين جميعاً الدنيا والآخرة.

ثمّ قال(عليه السلام): يا شريح فلو كنت عندما اشتريت هذه الدار أتيتني فكتبت لك كتاباً على هذه النسخة إذا لم تشترها بدرهمين.

قال: قلت: وما كنت تكتب يا أميرالمؤمنين؟

قال: كنت أكتب لك هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت أزعج بالرحيل، اشترى منه داراً في دار الغرور، من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين، وتجمع هذه الدار حدوداً أربعة، فالحد الأول منها ينتهي إلى دواعي الآفات، والحد الثاني منها ينتهي إلى دواعي العاهات، والحد الثالث منها ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحد الرابع منها ينتهي إلى الهوى المردي والشيطان المغوي، وفيه يشرع باب هذه الدار، اشترى هذا المفتون بالأمل، من هذا المزعج بالأجل، جميع هذه الدار بالخروج من عزّ القنوع والدخول في ذلّ الطلب، فما أدرك هذا المشتري فيما اشتري منه من درك فعلى مبلي أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال إلى المال فأكثر، وبنى فشيد، ونجد فزخرف وادخر بزعمه للولد، اشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب لفصل القضاء، وخسر هنالك المبطلون، شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، ونظر بعين الزوال لأهل الدنيا، وسمع منادي أهل الزهد ينادي في عرصاتها ما أبين الحقّ لذي عينين، ان الرحيل أحد اليومين، تزودوا من صالح الأعمال وقربوا الآمال بالآجال فقد دنا الرحلة والزوال(33).

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 11/7.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 11/21، نهج السعادة: 2/104.

(3) الأنعام: 108.

(4) نهج البلاغة: 2/186.

(5) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 11/28.

(6) بحار الأنوار: 43/229.

(7) دراسات في نهج البلاغة: 230.

(8 و 9) الكافي 1/411.

(10) نهج البلاغة: 2/198.

(11) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: 8/112.

(12) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 11/123.

(13) بحار الأنوار: 23/207.

(14) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 11/245.

(15) المؤمن: 71.

(16) مواقف الشيعة: 1/234.

(17) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/179، وأُنظر كذلك الخطبة 19 من خطب نهج البلاغة.

(18) سفينة البحار: 1/702.

(19) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 11/245.

(20) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/93، الكامل في التاريخ: 3/353.

(21) الفند: الجبل العظيم.

(22) يقصد أميرالمؤمنين(عليه السلام) هنا العراق والشام، فقد أحزن رحيل مالك أهل العراق، وأسرَّ أهل الشام.

(23) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 6/77.

(24) نهج البلاغة: 2/226.

(25) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/199.

(26) بحار الأنوار: 41/103.

(27) دراسات في نهج البلاغة: 43.

(28) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/12.

(29) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/24.

(30) ينبع: اسم موضع، كان فيه نخل لعليّ(عليه السلام) وينبع الآن بلد صغير من أعمال المدينة.

(31) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/296.

(32) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 32/48.

(33) أُنظر: نهج البلاغة، قسم الرسائل، الرسالة الثانية، وبحار الأنوار: 47/377.

[84]

رسالة عليّ(عليه السلام) إلى عمّاله

لما بويع عليّ(عليه السلام) وكتب إلى العمال، كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمداني، وكان الأشعث على آذربيجان عامل لعثمان ـ وقد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك ـ فكتب إليه عليّ(عليه السلام):

أمّا بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله، ثمّ إنّه كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير ممن بايعاني ثمّ نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجا أُم المؤمنين وصارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية، وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة وفي يديك مال من مال الله وأنت من خزّان الله عليه حتى تسلمه إليَّ، ولعلي أن لا أكون شر ولاتك لك إن استقمت ولا قوّة إلاّ بالله.

فلما قرأ الكتاب قال الأشعث: أيها الناس إنّ أميرالمؤمنين عثمان ولاني آذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس عليّاً وطاعتنا له كطاعة من كان قبله وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم، وعليّ المأمون على ما قد غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر.

قال: فلما أتى منزله دعا أصحابه وقال: إن كتاب عليّ قد أوحشني وهو آخذ بمال آذربيجان وأنا لاحق بمعاوية!

فقال القوم: الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام؟ فاستحيا الأشعث فسار حتى قدم على عليّ(عليه السلام)(1)

[85]

ما حدث بين عليّ(عليه السلام) ومعاوية

في نهج البلاغة قسم الرسائل، هناك حوالي ثلاثة عشر رسالة طويلة، هي عبارة عن الرسائل المتبادلة بين الإمام عليّ(عليه السلام) ومعاوية(2) وأكثر هذه الرسائل ترتبط بمسألة الخلافة والحرب وبيت المال وقضايا سياسية أُخرى، وأغلب هذه الرسائل لا تحتوي على جنبة قصصية، لذا سنقتطف بعض عبارات هذه الرسائل لنوضح للقارىء طبيعة العلاقة الّتي كانت بين الإمام(عليه السلام) وبين الطاغية معاوية.

1 ـ «لَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَة عَنْهُ، إلاَّ أَنْ تَتَجَنَّى ; فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ»(3).

2 ـ «وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ، فَاقْعَسْ عَنْ هذَا الأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ.

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلاَةَ أَمْرِ الأُمَّةِ ؟ بِغَيْرِ قَدَم سَابِق، وَلاَ شَرَف بَاسِق، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ، وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ والسَّرِيرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ»(4).

3 - وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ خُشَاشَاتِ أَنْفُس بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ،مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الأخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَاف، فَكَذلِكَ نَحْنُ، وَلكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمَ، وَلاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلاَ أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي طَالِب، وَلاَ الْمُهَاجِرُكَالطَّلِيقِ، وَلاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلاَ الْـمُحِقُّ كَالْمُبطِلِ، وَلاَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ»(5).

4 - «فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لاَ تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلاَماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرِدُهَا الأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الأَنْكَاسُ»(6).

5 - «فَسُبْحَانَ اللهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ للهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ.

فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ فِي عُثْمانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ»(7).

6 - «وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِك مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَتَأَوَّلوا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَاحْذَرْ يَوْماً يُغْتَبَطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمَ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ. وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ إلى حُكْمِهِ»(8).

[86]

النداء القاطع

1 - ومن كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى جرير بن عبدالله البجلي لما أرسله إلى معاوية، وكان جرير عاملا لعثمان على ثغر همذان، وكان كذلك من المخلصين للإمام عليّ(عليه السلام) والموالين له، وقد طلب جرير من الإمام أن يحمل رسالته إلى الشام، لأن الكثير من أهل الشام هم من أفراد قبيلته، فكان ممّا كتبه الإمام عليّ(عليه السلام) لجرير:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْب مُجْلِيَة، أَوْ سِلْم مُخْزِيَة، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلاَمُ»(9).

[87]

مالك الأشتر، قائد القادة!

من كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى أميرين من أُمراء جيشه وهما «زياد بن النضر» و «شريح بن هاني» حيث كانا من أُمراء جيشه في صفين، فكتب إليهما يقول:

«وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعاَ، واجْعَلاَهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً، فَإِنّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ، وَلاَ سَقْطَتُهُ، وَلاَ بُطْؤُهُ عَمَّا الأسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلاَ إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطءُ عَنْهُ أَمْثَلُ»(10).

وكتب من جانب آخر إلى أهل مصر لما ولي عليهم الأشتر(رحمه الله) فقال:

«مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لله حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلاَ مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، لاَيَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرَيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِج، فَاسْمَعُوا لَهُ أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ»(11).

[88]

انذار لابن عبّاس

روي أنّ ابن عباس كان قد أضر ببني تميم حين ولي أمر البصرة من قبل عليّ(عليه السلام) للّذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لأ نّهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة فحمل عليهم ابن عباس فأقصاهم وتنكر عليهم وعيّرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل، وأنصار عسكر (وهو اسم جمل عائشة) وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة عليّ(عليه السلام) من بني تميم منهم حارثة بن قدامة وغيره فكتب بذلك حارثة إلى عليّ(عليه السلام)يشكو إليه ابن عباس.

فكتب(عليه السلام) إلى ابن عباس: «اعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيم، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيم لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلاَّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْم فِي جَاهِلِيَّة وَلاَ إِسْلاَم، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا.

فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْر وَشَرّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذلِكَ،كُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلاَ يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ، وَالسَّلاَمُ».

وجاء في رواية أُخرى انّه قال له:

أمّا بعد، فإنّ خير الناس عند الله غداً أعملهم بطاعته فيما عليه وله، وأقواهم بالحقّ وإن كان مرّاً ألا وإنّه بالحقّ قامت السموات والأرض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلا وليكن حكمك واحداً وطريقتك مستقيمة(12).

[89]

سلوك القائد مع أهل الكتاب

كان أهل فارس في زمان خلافة أميرالمؤمنين(عليه السلام) من المجوس عبدة النار، وكان عامل الإمام على هذه المناطق هو عمر بن أبي سلمة المخزومي، وكانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستلاف وكان ذلك يجحف بالناس(13).

وفي خلافة الإمام(عليه السلام) استمر الوالي في التعامل معهم بنفس الطريقة، فشكوا ذلك إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) فكتب إلى عامله هناك قائلا:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ(14) أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلاَ أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَف مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالإِدْنَاءِ، وَالإِبْعَادِ وَالإِقْصَاءِ، إِنْ شَاءَ اللهُ»(15).

ولقد كان الإمام(عليه السلام) يحرص أشد الحرص على اتباع هذا الاسلوب مع ولاته، ففي نهج البلاغة طائفة كبيرة من كتبه إلى عماله تدور كلها حول هذا المعنى، فيها تنديد بخيانة، وعزل عن ولاية، وزجر عن ظلم الرعية، وفيها توجيه وإرشاد ونصيحة.

[90]

انذار شديد ضد المبذّرين من بيت المال

من كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبدالله بن عباس على البصرة. وعبدالله عامل أميرالمؤمنين(عليه السلام) يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان، قال فيه:

«وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِالْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ»(16).

قال ابن أبي الحديد: والمراد تهديده بالأخذ واستصفاء المال.وصف تلك الشدة فقال: إنّها تتركك قليل الوفر، أي أفقرك بأخذ ما احتجت من بيت مال المسلمين، وثقيل الظهر: أي مسكين لا تقدر على مؤونة عيالك. وضئيل الأمر: أي حقير، لأ نّك إنما كنت نبيهاً بين الناس بالغنى والثروة، فإذا افتقرت صغرت عندهم، واقتحمتك أعينهم(17).

[91]

شهيد المحراب يتحدّث عن الشهادة

ومن كلام الإمام عليّ(عليه السلام) قاله قبيل شهادته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

«وَصِيَّتِي لَكُمْ: أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدٌ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَخَلاَ كُمْ ذَمٌّ.

أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ، إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ).

وَاللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلاَ طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلاَّ كَقَارِب وَرَدَ، وَطَالِب وَجَدَ، (وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ)(18).

[92]

الإمام يكشف خطّة العدو

كان معاوية قد بعث إلى مكة دعاة في السر يدعون إلى طاعته، ويثبطون العرب عن نصرة أميرالمؤمنين(عليه السلام) ويوقعون في أنفسهم أ نّه إمّا قاتل لعثمان أو خاذل، وأنّ الخلافة لا تصلح فيمن قتل أو خذل، وينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته، فكتب أميرالمؤمنين(عليه السلام)هذا الكتاب إلى عامله بمكة، ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسة، ولم يصرح في هذا الكتاب بماذا يأمره أن يفعل إذا ظفر بهم.

فكان ممّا كتبه(عليه السلام) إلى قثم بن العباس(19) وهو عامله على مكة:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي ـ بِالْمَغْرِبِ ـ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى المَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُمِّ الأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْـمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ عَامِلُهُ، وَلاَ يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ.

فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لإِمَامِهِ.

وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلاَ تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، وَلاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً»(20).

[93]

عليّ(عليه السلام) يؤنّب عمرو بن العاص بشدّة

كتب أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى عمرو بن العاص:

من عبدالله عليّ أميرالمؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص شانيء محمّد وآل محمّد في الجاهلية والإسلام، سلام على من اتبع الهدى.

أمّا بعد: فإنّك تركت مروتك لامرىء فاسق مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما وافق شن طبقة فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك، وكان علم الله بالغاً فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا أو الصبح أنى، يلتمس فاضل سؤره وحوايا فريسته، ولكن لا نجاة من القدر ولو بالحقّ أخذت لأدركت ما رجوت، وقد رشد من كان الحقّ قائده، فإن يمكني الله منك ومن ابن آكلة الأكباد ألحقكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وإن تعجزا أو تبقيا بعدي فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاماً وبعقابه عقاباً(21).

[94]

العزل والنصب على أساس المصلحة العليا

من كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى عمر بن أبي عمر بن أبي سلمة المخزومي وهو عامله على البحرين، فعزله لينفر معه إلى جهاد طغاة الشام، واستعمل مكانه نعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلاَنَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ، بِلاَ ذَمٍّ لَكَ، وَلاَ تَثْرِيب عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلاَيَةَ، وَأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِين، وَلاَ مَلُوم، وَلاَ مُتَّهَم، وَلاَ مَأْثُوم، فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ(22).

[95]

سارق بيت المال على رأي عليّ(عليه السلام)

من كتاب له(عليه السلام) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وكان عامله على «أردشير خره»: بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلهَكَ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ: انَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلاَ تُصلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً.

أَلاَ وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ، يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، ويَصْدُرُونَ عَنْهُ.

ومصقلة بن هبيرة الشيباني كان عاملا لعليّ(عليه السلام) على بلد من بلاد الأهواز، وقد أتى معقل بن قيس بأسارى فاشتراهم مصقلة بـ (500) ألف درهم وأعتقهم ثمّ هرب ليلا إلى البصرة دون دفع المال. فأرسل معقل إلى ابن عباس فطالبه بالمال فهرب ليلا إلى عليّ(عليه السلام) بالكوفة، ولما طالبه بالمال دفع له 100 ألف وبقي عليه 400 ألف درهم فهرب ليلا.

وقد كانت شرور هذه الطبقة هي الّتي سببت الثورة على عثمان، فقد ولّى على البلاد الأحداث من ذوي قرابته، ممن لا خبرة لهم في الحكم، ولا عاصم لهم من دين، ولا ورع لهم عن المحارم، فظلموا الرعية، وامتصوا دمائها، وكانت عاقبة ذلك وبالا. وعلى النقيض من هذا كانت سياسة الإمام(عليه السلام) مع ولاته، فهو ينتخبهم انتخاباً، ثمّ يوليهم اختباراً، ثمّ يراقبهم ويحملهم على الاصطلاح ما وجد إلى ذلك سبيلا(23).

[96]

الجلوس على مائدة متعددة الألوان

من كتاب له(عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري(24) وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أ نّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها:

«أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إلى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ.

فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.

أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ.

أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد.

فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً.

بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ.

وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَك وَغَيْرِ فَدَك، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَد جَدَثٌ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ.

وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ـ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىوَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَة *** وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدىً، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ!

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ.

أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ.

وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا،سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ.

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟! أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟! هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ.

وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَاد غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَم أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوك أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ!

هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِىءَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لاَيُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْم حَانَ انْسِلاَخُهُ.

اعْزُبِي عَنِّي! فَوَاللهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذْلِينِي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي.

وَايْمُ اللهِ ـ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ـ لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً; وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا.

أَتَمْتَلِىءُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

طُوبَى لِنَفْس أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَر أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِم ذُنُوبُهُمْ (أُولئِكَ حِزْبُ الله، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

فَاتَّقِ اللهَ يَابْنَ حُنَيْف، وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلاَصُكَ(25).

[97]

توبيخ عليّ(عليه السلام) لعامله على هيت

من كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ، وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ ـ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا، وَلاَ يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا ـ لَرَأْيٌ شَعَاعٌ.

فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ، وَلاَ مَهِيبِ الْجَانِبِ، وَلاَ سَادٍّ ثُغْرَةً، وَلاَ كَاسِر لِعَدُوّ شَوْكَةً، وَلاَ مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلاَ مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ»(26).

قال ابن أبي الحديد: كان كميل من صحابة عليّ(عليه السلام) وشيعته وخاصته وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة، وكان عامل عليّ(عليه السلام)على هيت، وكان ضعيفاً يمر عليه سرايا معاوية بنهب أطراف العراق فلا يردها ويحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يجري مجراها من القرى الّتي على الفرات فأنكر(عليه السلام) ذلك من فعله(27).

[98]

أبو موسى الأبله المتكبّر

أبو موسى الأشعري، هو عبدالله بن قيس بن سليم الأشعري، قدم مع مجموعة من أشعريين اليمن إلى المدينة أيام فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة.

وكان أبو موسى على البصرة لما قتل عمر فأقره عثمان عليها ثمّ عزله واستعمل بعده ابن عامر، فسار من البصرة إلى الكوفة، فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وطلبوا من عثمان أن يستعمله عليهم فاستعمله، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله عليّ(عليه السلام) عنها. وكان أحد الحكمين في معركة صفين.

مات أبو موسى بالكوفة، وقيل: مات بمكة سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة أربع وأربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة(28).

ومن كتاب للإمام عليّ(عليه السلام) إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لمّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل.

قال(عليه السلام): مِنْ عَبْدِ اللهِ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْس(29).

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فإذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولي فارْفَعْ ذَيْلَكَ، واشْدُدْ مِئْزَرَكَ، واخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ!

وَايْمُ اللهِ لَتُؤْتَيَنَّ حَيْثُ أَنْتَ، وَلاَ تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَابِئُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو، وَلكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا.

فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَامْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْب وَلاَ فِي نَجَاة، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِم، حَتَّى لاَ يُقَالَ: أَيْنَ فُلاَنٌ؟ وَاللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقّ، وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ، وَالسَّلاَمُ(30).

[99]

برنامج عليّ(عليه السلام) لوالي مكة أيّام الحج

من كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة:

«أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ، وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ، وَلاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ، وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَة عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ في أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا.

وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ المَفَاقِرِ وَالْخَلاَّتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا.

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلاَّ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِن أَجْراً، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) فَالْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي: الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ.

وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ، وَالسَّلاَمُ(31).

فنجد أميرالمؤمنين(عليه السلام) هنا يأمر واليه على مكة (قثم بن العباس) بأُمور منها:

1 ـ أن يقيم للناس حجهم.

2 ـ وأن يذكرهم بأيام الله، وهي أيام الأنعام وأيام الانتقام، لتحصل الرغبة والرهبة.

3 ـ أن يجلس لهم العصرين: الغداة والعشي.

4 ـ أن يفتي مستفتياً من العامة في بعض الأحكام.

5 ـ أن يعلم متعلماً يطلب الفقه.

6 ـ أن يذاكر عالماً ويباحثه ويفاوضه.

7 ـ نهاه عن توسط السفراء والحجاب بينه وبين الناس، بل ينبغي أن يكون سفيره لسانه، وحاجبه وجهه(32).

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 17/182.

(2) مثل الرسائل رقم 6 و7 و9 و10 و17 و28 و30 و32 و37 و49 و55 و64 و75.

(3) نهج البلاغة: 3/6 الرسالة 6.

(4) نفس المصدر: الرسالة 10.

(5) نفس المصدر: الرسالة 17.

(6) نفس المصدر: الرسالة 30.

(7) نفس المصدر: الرسالة 37.

(8) نفس المصدر: الرسالة 48.

(9) نهج البلاغة: 3/8 الرسالة 8 .

(10) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 15/98.

(11) نهج البلاغة: 3/63 الرسالة 38.

(12) نهج البلاغة: 3/18 الرسالة 18، بحار الأنوار: 33/493.

(13) بحار الأنوار: 33/489.

(14) الدهاقين: أكابر القوم.

(15) نهج البلاغة: 3/18 الرسالة 19.

(16) نهج البلاغة: 3/19 الرسالة 20.

(17) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 15/138.

(18) نهج البلاغة: 3/21 الرسالة 23.

(19) روى عبدالبر في «الاستيعاب» عن عبدالله بن جعفر قال: كنت أنا وعبيدالله وقثم ابنا العباس نلعب، فمرّ بنا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) راكباً، فقال: ارفعوا إليَّ هذا الفتى ـ يعني قثم ـ فرفع إليه! فأردفه خلفه، ثمّ جعلني بين يديه، ودعا لنا، فاستشهد قثم بسمرقند.

وروى عبدالله بن عباس قال: كان قثم آخر الناس عهداً برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، أي آخر من خرج من قبره ممّن نزل فيه، قال: وكان المغيرة بن شعبة يدّعي ذلك لنفسه، فأنكر عليّ(عليه السلام) ذلك وقال: بل آخر من القبر قثم بن العباس.

وكان قثم والياً لعليّ(عليه السلام) على مكة بعد أن عزل عليّ(عليه السلام) خالد بن العاص ـ وكان واليها لعثمان ـ وولاها أبا قتادة الأنصاري، ثمّ عزله عنها وولى مكانه قثم بن العباس، فلم يزل واليه عليها حتى قتل عليّ(عليه السلام).

(20) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 16/139.

(21) نهج البلاغة: 3/64 الرسالة 39، بحار الأنوار: 33/225.

(22) نهج السعادة: 4/227.

(23) دراسات في نهج البلاغة: 73.

(24) عثمان بن حنيف ـ بضم الحاء ـ الأنصاري: أخو سهل بن حنيف، يكنى أبا عمرو، عمل لعمر ثمّ لعليّ(عليه السلام)، وولاّه عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق، وضرب الخراج والجزية على أهلها، وولاّه عليّ(عليه السلام) على البصرة، فأخرجه طلحة

والزبير منها حين قدماها، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة عليّ(عليه السلام) ومات بها في زمن معاوية.

(25) نهج البلاغة: 3/70.

(26) نهج البلاغة: 3/117 الرسالة 61.

(27) بحار الأنوار: 33/522.

(28) أُسد الغابة: 3/245.

(29) واسمه عبدالله بن قيس، أسلم في السنة السابعة للهجرة.

(30) نهج البلاغة : 3/121 الرسالة 63.

(31) نهج البلاغة : 3/127 الرسالة 67.

(32) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/31.

[100]

التسلسل إلى العدو

يعتبر سهل بن حنيف من شيعة على المخلصين، فضلا عن كونه من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الأوفياء، قاتل مع الرسول، واستمر يحافظ على نهجه مع خليفته الشرعي أميرالمؤمنين(عليه السلام)، كان والياً لأميرالمؤمنين(عليه السلام)على بلاد فارس، وثمّ- واليه على المدينة، وعندما حارب الإمام القاسطين والناكثين، كان سهل أحد قواد جيش الإمام الشجعان.

توفي سهل بن حنيف في سنة 38 للهجرة بعد معركة صفين، وقد حزن عليه الإمام(عليه السلام).

ومن كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلاَ تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى والْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً!!

إِنَّهُمْ - وَاللهِ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْر، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْل، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللهُ لَنَا صَعْبَهُ،يُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ»(1).

[101]

الإمام(عليه السلام) وأحد ولاته الخونة

من كتاب له(عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود العبدي(2) وقد كان استعمله على بعض النواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولاه من أعماله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لاَتَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلاَ تُبْقِي لِاخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ.

وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْل أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَة، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَة.

فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هذَا إِنْ شَاءَ اللهُ»(3).

[102]

نصيحة عليّ(عليه السلام) للعالم الربّاني

من كتاب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى عبدالله بن العباس: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَل، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ»(4).

وعبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كنّي بأبيه العباس وهو أكبر ولده وأُمّه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية(5).

وقد روي ان محمّد بن الحنفية قال حين مات ابن عباس: اليوم مات ربّاني هذه الأُمّة(6).

[103]

مناظرة مع الخوارج

لمّا أراد عبدالله بن العباس الاحتجاج على الخوارج، أوصاه أميرالمؤمنين(عليه السلام) قائلا:

«لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلكِنْ حاجَّهُمْ بالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً»(7).

وكان من حوار ابن عباس مع الخوارج عندما أقبلوا عليه يكلمونه فقال: ما نقمتم من الحكمين وقد قال الله عزّوجلّ: (إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا) فكيف بأُمة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت الخوارج: قلنا أمّا ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والاصلاح له فهو إليهم كما أمر به وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه حكم في الزاني مائة جلدة وفي السارق بقطع يده فليس للعباد أن ينظروا في هذا.

قال ابن عباس: فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْل مِنْكُمْ)(8)فقالوا له: أو تجعل الحكم في الصيد والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين.

وقالت الخوارج: قلنا له فهذه الآية بيننا وبينك، أعدل عنك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا فإن كان عدلا فلسنا بعدول ونحن أهل حربه، وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد أمضى الله عزّوجلّ حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا وقيل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزّوجلّ فأبوه ثمّ كتبتم بينكم وبينه كتاباً وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة وقد قطع عزّوجلّ الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلاّ من أقر بالجزية(9).

قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه، وذلك أنّ القرآن كثير الاشتباه، فيه مواضع يظن في الظاهر أ نّها متناقضة متنافية، نحو قوله: (لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ) ونحو قوله: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ونحو قوله: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ)... ونحو ذلك، وأمّا السنّة فليست كذلك، وذلك لأنّ الصحابة كانت تسأل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وتستوضح منه الأحكام في الوقائع، وما عساه يشتبه عليهم من كلامهم، يراجعونه فيه، ولم يكونوا يراجعونه في القرآن إلاّ فيما قل بل كانوا يأخذونه منه تلقفاً، وأكثرهم لا يفهم معناه، لا لأنّه غير مفهوم، بل لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه، إمّا إجلالا له أو لرسول الله أن يسألوه عنه، أو يجرونه مجرى الأسماء الشريفة الّتي إنّما يراد منها بركتها لا الاحاطة بمعناها، فلذلك كثر الاختلاف في القرآن.

ثمّ قال: فما هي السنّة الّتي أمره أن يحاجهم بها؟ قلت: كان لأميرالمؤمنين(عليه السلام) في ذلك غرض صحيح، وإليه أشار، وحوله كان يطوف ويحوم، وذلك أ نّه أراد أن يقول لهم: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار»، وقوله: «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، ونحو ذلك من الأخبار(10).

[104]

مسؤولية الإنسان في الفتنة

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام): «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ».

ويقصد بـ «ابن اللبون»: ولد الناقة الذكر إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة، وابن اللبون لا يكون قد كمل وقوى ظهره على أن يركب، وليس بأُنثى ذات ضرع فيحلب وهو مطرح لا ينتفع به. وأيام الفتنة هي أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبدالملك وابن الزبير، وفتنة مروان والضحّاك، وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك، فأمّا إذا كان أحدهما صاحب حقّ فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما، بل يجب الجهاد مع صاحب الحقّ وسل السيف والنهي عن المنكر وبذل النفس في اعزاز الدين واظهار الحقّ.

ولهذا قال أميرالمؤمنين(عليه السلام): أخمل نفسك أيام الفتنة، وكن ضعيفاً مغموراً بين الناس لا تصلح لهم بنفسك، ولا بمالك ولا تنصر هؤلاء وهؤلاء(11).

[105]

الجواب على ثلاثة أسئلة

سئل أميرالمؤمنين(عليه السلام) عن قول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): «غيروا الشيب، ولا تشبهوا بالهيود»، فقال(عليه السلام): إنّما قال(صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك والدين قل، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار.

وسئل عن الخير ما هو؟ فقال(عليه السلام): ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربّك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير في الدنيا إلاّ لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات(12).

وقيل له(عليه السلام): لو غيّرت شيبك يا أميرالمؤمنين؟

فقال(عليه السلام): «الْخِضَابُ زِينَةٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَة - يريد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)»(13).

[106]

النهي عن الذلّ

قال الإمام عليّ(عليه السلام) وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجلو له واشتدوا بين يديه: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟

فقالوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا.

فقال: «وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُمْ! وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَخْسرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ»(14).

وروي أ نّه(عليه السلام) لما ورد الكوفة قادماً من صفين مر بالشباميين(15) فسمع بكاء النساء على قتلى صفين، وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من قومه فقال(عليه السلام): تغلبكم نساؤكم على ما أسمع، ألا تنهونن عن هذا الرنين.

وأقبل يمشي معه وهو(عليه السلام) راكب فقال(عليه السلام) له: ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلّة للمؤمن(16).

[107]

في فراش المرض

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) لبعض أصحابه في علّة اعتلها: «جَعَلَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لاَ أَجْرَ فِيهِ، وَلكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَيَحُتُّهَا حَتَّ الأَوْرَاقِ، وَإِنَّمَا الأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالأَيْدِي وَالأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ الْجَنَّةَ»(17).

وقد صدق(عليه السلام) إن المرض لا أجر فيه، لأنه من قبيل ما يستحق عليه العوض، لأن العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرى ذلك، والأجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد، فبينهما فرق قد بيّنه(عليه السلام) كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب.

وقد جاء في الحديث القدسي: من مرض ثلاثاً فلم يشك إلى أحد من عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، فإن عافيته ولا ذنب له، وان قبضته قبضته إلى رحمتي(18).

[108]

ذكرى المحارب الوفي

قال محمّد بن سعد عن الخباب بن الأرت: سمعت من يذكر أ نّه رجل من العرب من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أصابه سباء فاشترته أم أنمار فأعتقته ونزل الكوفة وابتنى بها داراً في جار سوج خنيس وتوفي بها منصرف عليّ(عليه السلام) من صفين سنة سبع وثلاثين فصلّى عليه عليّ ودفنه بظهر الكوفة وكان يوم مات ابن ثلاث وسبعين سنة(19).

وروي ان خباباً كان قيناً يطبع السيوف وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يألفه ويأتيه فأخبرت مولاته بذلك فكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «اللّهمّ انصر خباباً».

فاشتكت مولاته أُم أنمار رأسها فكانت تعوي مثل الكلاب، فقيل لها: اكتوي، فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوى بها رأسها، وشهد خباب وبدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)(20).

وعندما عاد عليّ(عليه السلام) من صفين مرّ ببني عوف، وإذا بسبعة قبور أو ثمانية، فقال عليّ(عليه السلام): ما هذه القبور؟

فقال قدامة الأزدي: يا أميرالمؤمنين، إن خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك فأوصى بأن يدفن في الظهر وكان الناس إنّما يدفنون في دورهم وأفنيتهم فدفن بالظهر(رحمه الله) ودفن الناس إلى جنبه.

فقال عليّ(عليه السلام): رَحَمُ اللهُ خَبَّاباً، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَعَاشَ مُجَاهِداً. وابتلى في جسمه أحوالا وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا»(21).

ثمّ جاء حتى وقف عليهم فقال: «السلام عليكم يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أَنْتُمْ لَنَا سلف فَارِطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ عما قليل لاحقون. اللّهمّ اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم.

وقال: الحمد لله الّذي جعل منها خلقكم وفيها معادكم منها يبعثكم وعليها يحشركم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله عزّوجلّ.

[109]

عاشق عليّ(عليه السلام) مع أحد الحاقدين

قال الأصبغ بن نباتة: كنت جالساً عند أميرالمؤمنين(عليه السلام) وهو يقضي بين الناس، إذ أقبل جماعة ومعهم أسود مشدود الأكتاف، فقالوا: هذا سارق يا أميرالمؤمنين، فقال(عليه السلام): يا أسود أسرقت؟

قال: نعم يا مولاي.

قال: ويلك، أُنظر ماذا تقول؟ أسرقت؟ قال: نعم.

فقال له: ثكلتك أُمّك أن قلتها ثانية قطعت يدك، أسرقت؟

قال: نعم، فعند ذلك قال(عليه السلام): اقطعوا يده، فقد وجب عليه القطع، قال: فقطعت يمينه، فأخذها بشماله وهي تقطر، فاستقبله رجل يقال له ابن الكوّاء فقال له: يا أسود مَنْ قطع يمينك؟

قال له: قطع يميني سيّد الوصيّين، وقائد الغر المحجّلين، وأولى الناس باليقين... خاتم الأوصياء لصفوة الأنبياء، القسور الهمام، والبطل الضرغام، المؤيّد بجبرئيل، والمنصور بميكائيل المبين، فرض ربّ العالمين، المطفي نيران الموقدين، وخير من نشأ من قريش أجمعين، المحفوف بجند من السماء، أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) على رغم أنف الراغمين، ومولى الخلق أجمعين.

قال: فعند ذلك قال له ابن الكوّاء: ويلك يا أسود، قطع يمينك وأنت تثني عليه هذا الثناء كلّه، قال: ومالي لا أثني عليه وقد خالط حبّه لحمي ودمي، والله ما قطع يميني إلاّ بحقّ أوجبه الله تعالى عليَّ.

قال ابن الكوّاء: فدخلت إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) وقلت له: يا سيّدي رأيت عجباً.

فقال: وما رأيت؟

قلت: صادفت الأسود وقد قطعت يمينه، وقد أخذها بشماله، وهي تقطر دماً، فقلت: ياأسود مَنْ قطع يمينك؟

فقال: سيّدي أميرالمؤمنين، فأعدت عليه القول وقلت له: ويحك قطع يمينك، وأنت تثني عليه هذا الثناء كلّه! فقال: مالي لا أثني عليه وقد خالط حبّه لحمي ودمي، والله ما قطعها إلاّ بحقّ أوجبه الله تعالى، فالتفت أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى ولده الحسن وقال له: قم وهات عمّك الأسود.

قال: فخرج الحسن(عليه السلام) في طلبه فوجده في موضع يقال له: كندة، فأتى به إلى أميرالمؤمنين فقال: يا أسود، قطعت يمينك وأنت تثني عليَّ؟

فقال: يا مولاي يا أميرالمؤمنين، ومالي لا أثني عليك وقد خالط حبّك لحمي ودمي، فو الله ما قطعتها إلاّ بحقّ كان عليَّ ممّا ينجي من عذاب الآخرة.

فقال(عليه السلام): هات يدك، فناوله ايّاها، فأخذها ووضعها في الموضع الّذي قطعت منه، ثمّ غطّاها بردائه، وقام فصلّى(عليه السلام) ودعا بدعوات لم تردّ، وسمعناه يقول في آخر دعائه: آمين، ثمّ شال الرداء وقال: اتّصلي أيّتها العروق كما كنت.

قال: فقام الأسود وهو يقول: آمنت بالله وبمحمّد رسوله وبعليّ الّذي ردّ اليد بعد القطع، وتخليتها من الزند، ثمّ انكبّ على قدميه وقال: بأبي أنت وأُمّي يا وارث علم النبوّة(22).

وهذه القصة تؤكّد قوله(عليه السلام): لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني. وذلك أ نّه قضى فانقضى على لسان النبيّ الأُمي(صلى الله عليه وآله وسلم)أ نّه قال: «يا عليّ لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»(23).

[110]

أنين عليّ(عليه السلام) في محراب العبادة

دخل ضرار بن ضمرة الكتاني على معاوية فقال له: صف لي عليّاً.

فقال: أو تعفيني يا أميرالمؤمنين؟ قال: لا أعفيك!

قال له: وإذ لابدّ منه فإنّه: والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته! كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفّه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب! كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، كان يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ـ وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ـ يتمثّل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأ نّي أسمعه الآن وهو يقول:

يا ربّنا يا ربّنا ـ يتضرع إليه ـ ويقول للدنيا: أبيَّ تعرضت؟ أأليَّ تشوقت؟ هيهات هيهات غري غيري قد طلقتك ثلاثاً فعمرك قصير، وعيشك حقير وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء(24).

[111]

جوابه لسؤال الشيخ عن القضاء والقدر

قام شيخ إلى عليّ(عليه السلام) فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟

فقال(عليه السلام): والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً إلاّ بقضاء الله وقدره.

فقال الشيخ: فعند الله احتسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئاً!

فقاله: مه أيّها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين.

فقال الشيخ: وكيف القضاء والقدر ساقانا؟

فقال: ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمّدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأُمّة ومجوسها.

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ الكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَلاَ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً،(ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ).

فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلاّ بهما؟

فقال: هو الأمر من الله والحكم، ثمّ تلا قوله سبحانه: (وَقَضَى رَبُّكَ ألا تَعْبُدُوا إلا إيَّاهُ).

فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته *** يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً *** جزاك ربّك عنا فيه احسانا(25)

[112]

أمن هو قانت

خرج أميرالمؤمنين(عليه السلام) ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجهاً إلى داره وقد مضى ربع من الليل ومعه كميل بن زياد وكان من خيار شيعته ومحبيه، فوصل في الطريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ويقرأ قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)(26) بصوت شجي حزين فاستحسن كميل ذلك في باطنه وأعجبه حال الرجل من غير أن يقول شيئاً، فالتفت صلوات الله عليه وآله إليه وقال: يا كميل لا تعجبك طنطة الرجل إنّه من أهل النار وسأنبئك فيما بعد!

فتحيّر كميل لمكاشفته له على ما في باطنه ولشهادته بدخول النار مع كونه في هذا الأمر وتلك الحالة الحسنة ومضى مدة متطاولة إلى أن آل حال الخوارج إلى ما آل وقاتلهم أميرالمؤمنين(عليه السلام) وكانوا يحفظون القرآن كما أنزل فالتفت أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى كميل بن زياد وهو واقف بين يديه والسيف في يده يقطر دماً ورؤوس أُولئك الكفرة الفجرة محلقة على الأرض فوضع رأس السيف على رأس من تلك الرؤوس وقال:

يا كميل (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً) أي هو ذلك الشخص الّذي كان يقرأ القرآن في تلك الليلة فأعجبك حاله، فقبّل كميل قدميه واستغفر الله وصلّى على مجهول القدر(27).

وجاء في نهج البلاغة أيضاً أنّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) سمع رجلا من الحرورية (الخوارج) يتهجد ويقرأ فقال(عليه السلام): «نَوْمٌ عَلَى يَقِين خَيْرٌ مِنْ صَلاَة فِي شَكّ»(28).

وقد تكون مقولته هذه مرتبطة بهذا الشخص.

[113]

البساطة في معيشة أميرالمؤمنين(عليه السلام)

شوهد أميرالمؤمنين(عليه السلام) أيام خلافته وهو عليه إزار خلق مرقوع، فقيل له في ذلك فقال: «يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ».

وقال(عليه السلام): «إِنَّ الدُّنْيَا وَالاْخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلاَّهَا أَبْغَضَ الاْخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَاش بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِد بَعُدَ مِنَ الاْخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ»(29).

وروي أنّ عليّاً(عليه السلام) أخرج سيفاً إلى السوق، فقال: من يشتري مني هذا؟ فو الّذي نفس عليّ بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته!

فقلت له: أنا أبيعك إزاراً وأنسئك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع إليَّ ثمن الإزار(30).

[114]

احياء الليل خوفاً

عن نوف البكالي قال: رأيت أميرالمؤمنين(عليه السلام) ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم، فقال لي: يا نوف، أراقد أنت أم رامق؟

فقلت: بل رامق يا أميرالمؤمنين.

قال: «يَا نَوْفُ، طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الاْخِرَةِ، أُولئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طِيباً، وَالْقُرْآنَ شِعَاراً، وَالدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ.

يَا نَوْفُ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَامَ فِى مِثْلِ هذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لاَ يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَة (وهي الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كَوْبَة (وهي الطبل، وقد قيل أيضاً: إنّ العَرْطَبَةَ: الطبلُ)(31).

[115]

حال من يفنى بالبقاء

قيل لأميرالمؤمنين(عليه السلام): كيف تجدك يا أميرالمؤمنين؟

فقال: «كَيْفَ يَكُونُ مَنْ يَفْنَى بِبِقَائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ»(32).

وهذا مثل قول عبدة بن الطبيب:

أرى بصري قد رابني بعد صحة *** وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولن يلبث العصران يوم وليلة *** إذا طلبا أن يدركا من تيمما

وقال الآخر:

كانت قناتي لا تلين لغامز *** فألانها الاصباح والامساء

ودعوت ربّي بالسلامة جاهداً *** ليصحني فإذا السلامة داء

[116]

الضحك أثناء تشييع الجنازة

روي أنّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) تبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال(عليه السلام):

«كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ،نَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ، قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ!! طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ،أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَةٍ»(33).

[117]

حديثه(عليه السلام) مع أهل الديار الموحشة

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) وقد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة:

«يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ.

يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ.

أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ.

هذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟

ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ (خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)(34).

وقال نصر: لما رجع أميرالمؤمنين(عليه السلام) من صفين وجاز دور بني عوف، وكنا معه إذا نحن عن ايماننا بقبور سبعة أو ثمانية، فقال أميرالمؤمنين(عليه السلام): ما هذه القبور؟

فقال له قدامة بن عجلان الأزدي: يا أميرالمؤمنين، إن خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك فأوصى بأن يدفن في الظهر وكان الناس إنّما يدفنون في دورهم وأفنيتهم فدفن بالظهر(رحمه الله)ودفن الناس إلى جنبه.

فقال عليّ(عليه السلام): رَحَمُ اللهُ خَبَّاباً، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَعَاشَ مُجَاهِداً. وابتلى في جسمه أحوالا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا، فجاء حتى وقف عليهم فقال: «يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالمحال المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف وفرط، ونحن لكم تبع وعما قليل لاحقون. اللّهمّ اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنّا وعنهم.

ثمّ قال(عليه السلام): الحمد لله الّذي جعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً.

الحمد لله الّذي منها خلقنا، وفيها يعيدنا، وعليها يحشرنا.

طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله بذلك»(35).

[118]

ذمّ الدنيا

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) وقد سمع رجلا يذم الدنيا:

«أَيُّهَا الذَّامُّ للدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُرِهَا، الْمنخدع بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَنّ بها ثُمَّ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ ، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ! تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ، لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ، وَلَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطِلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! قَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ.

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَاالرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ.

فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ،شَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ؟! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ، ترغِيباً وَتَرْهِيباً، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَرُوا، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا»(36).

[119]

نصيحة عظيمة من رجل عظيم

قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)فأخرجني إلى الجبان، فلما أصحر تنفس الصعداء، ثمّ قال:

«يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَاد، إِنَّ هذهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ:

النَّاسُ ثَلاَثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاة، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِق، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيح، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى رُكْن وَثِيق.

يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ: الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ المَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَاد، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَاد، هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ»(37).

[120]

اعتراض عليّ (عليه السلام)

بعد وفاة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) اجتمع القوم في سقيفة بني ساعدة لتعيين الخليفة، بينما كان أميرالمؤمنين وبني هاشم مشغولين بتجهيز النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) لدفنه.

وكان ممّا دار في الاجتماع انّ أبا بكر لما قال لعمر: امدد يدك، قال له عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها، شدتها ورخائها، فامدد أنت يدك.

كذلك نجد انّ أبا بكر لمّا حاج الأنصار في السقيفة، قال لهم: نحن عترة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وبيضته الّتي تفقأت عنه.

فلما بويع احتج على الناس بالبيعة، وأ نّها صدرت عن أهل الحل والعقد.

ولذا نجد أميرالمؤمنين(عليه السلام) يقول:

«وَاعَجَبَا! أَتَكُونُ الْخِلاَفَةَ بِالصَّحَابَةِ وَلاَتَكُونُ بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ؟

و روي له شعر في هذا المعنى، وهو:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ *** فَكَيْفَ بِهذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ؟

وَإِنْ كنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ *** فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

[121]

وحدة القيادة

كان طلحة والزبير من أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ونظراً لقربهم من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) نجد انّ عمر بن الخطاب جعلهم من الشورى السداسية الّتي حدّدها بعده لتعيين الخليفة.

وعندما التجأ المسلمون بعد مقتل عثمان بن عفان إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) ليبايعوه خليفة لهم، طمع طلحة والزبير بالخلافة واعتقدوا أنّ بامكانهم مشاركة الإمام عليّ(عليه السلام) بالخلافة، لذا جاءا له وقالا: نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر!!

فقال(عليه السلام): «لاَ، وَلكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةَ وَالاِسْتَعَانَةِ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالأُوَدِ»(38).

فالإمام(عليه السلام) يرفض مشاركتهما في الخلافة، فكيف يكون ذلك؟ وهل يصح أن يدبر أمر الرعية إمامان! ولكنه يقول لهما: إنّما تشركاني في القوة والاستعانة، أي إذا قوى أمري وأمر الإسلام بي قويتما أنتما أيضاً، وإذا عجزت عن أمر، أو تأود عليَّ أمر ـ أي أعوج ـ كنتما عونين لي ومساعدين على إصلاحه.

[122]

بشارة على ظهور الإمام المهدي(عليه السلام)

قام أميرالمؤمنين(عليه السلام) خطيباً فقال: «لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا» وتلا عقيب ذلك: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ)(39)(40).

الشماس: مصدر شمس الفرس إذا منع من ظهره.

والضروس: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها.

ويعتقد علماء الشيعة أن كلام أميرالمؤمنين(عليه السلام) هذا، هو وعد منه بالإمام الغائب(عليه السلام) الّذي يملك الأرض في آخر الزمان.

وقد أشارت الآية المباركة السابقة إلى عدّة أُمور منها:

1 ـ ان الله سبحانه وتعالى سيشمل المستضعفين برحمته ونعمته.

2 ـ وانّهم سيصبحوا قادة للعالم.

3 ـ وانّهم سيرثون حكومة الجبارين.

4 ـ وانّ كلّ هذا سيتم بقدرة الله وعظمته ونصرته لهم.

(1) نهج البلاغة : 3/131، الرسالة 70.

(2) اسم الجارود بشر بن خنيس بن المعلى، وإنّما سمي الجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه في آخره: كما جرد الجارود بكر بن وائل.

وفد الجارود على النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في سنة تسع، وقيل: في سنة عشر، وذكر صاحب الاستيعاب: أ نّه كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/54.

(4) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/60.

(5) أُسد الغابة: 3/192.

(6) تفسير غريب القرآن: 100.

(7) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/71.

(8) المائدة: 95.

(9) تاريخ الطبري: 4/47.

(10) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/71.

(11) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/82.

(12) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/122.

(13) نهج البلاغة: 4/109.

(14) نهج البلاغة: 4/10.

(15) شبام ككتاب: اسم حي.

(16) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/234.

(17) نهج البلاغة: 4/12.

(18) تفسير نور الثقلين: 4/56.

(19) الطبقات الكبرى: 6/14.

(20) أُسد الغابة: 2/98.

(21) نهج البلاغة:4/13.

(22) الخرائج والجرائح: 2/561 ح 19.

(23) نهج البلاغة: 4/13.

(24) نهج السعادة: 3/199.

(25) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/227.

(26) الزمر: 9.

(27) بحار الأنوار: 33/399.

(28) نهج البلاغة : 4/22 الحكمة 97.

(29) نهج البلاغة : 4/23 الحكمة 103.

(30) بحار الأنوار: 41/136.

(31) نهج البلاغة: 4/23، الحكمة 104.

(32) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/28.

(33) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/311.

(34) نهج البلاغة: 4/30، الحكمة 130.

(35) نهج السعادة: 6/325.

(36) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/325.

(37) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/346.

(38) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/22.

(39) القصص: 5.

(40) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/29.

[123]

الجواب على سبعة أسئلة

1 ـ قيل لأميرالمؤمنين(عليه السلام): صف لنا العاقل؟

فقال: هو الّذي يضع الشيء مواضعه.

2 ـ فقيل: فصف لنا الجاهل؟

قال: قد: قلت(1).

أي أن الجاهل هو الّذي لا يضع الشيء مواضعه، فكأن ترك صفته صفة له، إذ كان بخلاف وصف العاقل.

3 ـ وسئل(عليه السلام): كيف يحاسب الله الخلق ـ يوم القيامة ـ على كثرتهم؟

فقال(عليه السلام): كما يرزقهم على كثرتهم.

4 ـ فقيل: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟

قال(عليه السلام): كما يرزقهم ولا يرونه!(2)

5 ـ وقيل له(عليه السلام): بأي شيء غلبت الأقران؟

قال(عليه السلام): ما لقيت رجلا إلاّ أعانني على نفسه(3).

يؤمى بذلك إلى تمكّن هيبته في القلوب.

6 ـ وسئل(عليه السلام) أيما أفضل العدل أو الجود؟

فقال(عليه السلام): العدل يضع الأُمور موضعها، والجود يخرجها من جهتها.

والعدل سائس عام، والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما(4).

7 ـ وسئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب؟

فقال(عليه السلام): مسيرة يوم للشمس(5).

[124]

شجاعة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في نظر عليّ(عليه السلام)

في السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى بين المسلمين والمشركين، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائد الأعلى لجيشه الّذي لم يتجاوز عدده (313) مقاتلا.

يتحدّث الإمام عليّ(عليه السلام) (والمعروف بشجاعته) عن قائد الجيش في المعركة فيقول(عليه السلام):

«كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ».

ومعنى ذلك أ نّه إذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب فزع المسلمون إلى قتال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه فينزل الله عليهم النصر به ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه(6).

[125]

ثلاثة خذلوا الحقّ

بعد أن بايع الناس الإمام بالخلافة، وأخذت الأحداث تسير بعكس ما أراده الإمام خصوصاً بعد تحرك عائشة والزبير وطلحة في البصرة، بدأ الإمام(عليه السلام) يعبّأ جيشه لقتال الناكثين، فاستعد الناس للقتال باستثناء بعض الصحابة الّذي حاولوا ايجاد التبريرات فراراً من المعركة وخذلاناً للحقّ. فقال(عليه السلام) في الّذين اعتزلوا القتال معه: «خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل»(7). وهؤلاء هم عبدالله بن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأسامة بن زيد، ومحمّد بن مسلمة، وأنس بن مالك، والحارث بن حوط، وجماعة غيرهم.

وقد روي أنّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) لما دعاهم إلى القتال معه، واعتذروا بما اعتذروا به، قال لهم: أتنكرون هذه البيعة؟

قالوا: لا، لكنا لا نقاتل!

فقال: إذا بايعتم فقد قاتلتم!

قال: فسلموا بذلك من الذم، لأن إمامهم رضي عنهم.

وقيل: أن الحارث بن حوط أتاه(عليه السلام)، فقال له: أتراني أظن أن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟

فقال(عليه السلام): يا حار، إنّك نظرت تحتك، ولم تنظر فوقك فحرت، إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه.

فقال الحارث: فإنّي أعتزل مع سعد بن مالك وعبدالله بن عمر.

فقال(عليه السلام): إن سعداً وعبدالله بن عمر لم ينصرا الحقّ، ولم يخذلا الباطل.

قال ابن أبي الحديد: فأُولئك قوم خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل، وتلك كانت حالهم، فإنّهم خذلوا عليّاً ولم ينصروا معاوية ولا أصحاب الجمل(8).

وذكروا أن عمّار بن ياسر قام إلى عليّ، فقال: يا أميرالمؤمنين، ائذن لي آتي عبدالله بن عمر فأكمله، لعله يخف معنا في هذا الأمر، فقال عليّ: نعم، فأتاه، فقال له: يا أبا عبدالرحمن، إنّه قد بايع عليّاً المهاجرون والأنصار، ومن إن فضلناه عليك لم يسخطك، وإن فضلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة، وقد علمت أن على القاتل القتل، وعلى المحصن الرجم، وهذا يقتل بالسيف، وهذا يقتل بالحجارة، وأن عليّاً لم يقتل أحداً من أهل الصلاة، فيلزمه حكم القاتل.

فقال ابن عمر: يا أبا اليقظان، إن أبي جمع أهل الشورى، الذين قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عنهم راض، فكان أحقهم بها عليّ، غير أ نّه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه، ولكن والله ما أحب أن لي الدنيا وما عليها وأ نّي أظهرت أو أضمرت عداوة عليّ؟

قال: فانصرف عنه، فأخبر عليّاً بقوله، ثمّ أتى سعد بن أبي وقاص فكلّمه، فأظهر الكلام القبيح، فانصرف عمّار إلى عليّ، فقال له عليّ: دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، وأمّا سعد فحسود، وذنبي إلى محمّد بن مسلمة أ نّي قتلت أخاه يوم خيبر مرحب

اليهودي(9).

[126]

معنى الإيمان

سأل رجل أميرالمؤمنين(عليه السلام) أن يعرفه الإيمان فقال(عليه السلام):

«إِذَا كَانَ الغَدُ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ، فإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ، فَإِنَّ الْكَلاَمَ كَالشَّارِدَةِ، يَنْقُفُهَا هذَا وَيُخْطِئُهَا هذَا»(10).

وفي اليوم الثاني وقف الإمام خطيباً وقَالَ: الإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، والْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ:

«فَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَربَعِ شُعَب: عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ: فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلاَ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ.

وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَب: عَلَى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ الأَوَّلِينَ: فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الأَوَّلِينَ.

وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَب: عَلَى غَائِصِ الْفَهْمِ، وَغَوْرِ الْعِلْمِ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ: فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفْرِطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً.

وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَب: عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ: فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمُنَافِقِينَ، ومَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِىءَ الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لله غَضِبَ اللهُ لَهُ.

فقام السائل عند هذا فقبّل رأس عليّ(عليه السلام)(11).

[127]

زينة الكعبة

روي أ نّه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلى الكعبة وكثرته، فقال قوم لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلى؟

فهمّ عمر بذلك، وسأل أميرالمؤمنين(عليه السلام)، فقال(عليه السلام):

إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ وَالأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ:

1 - أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ.

2 - وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ.

3 - وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ.

4 ـ وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا.

وَكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذ، فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

فقال له عمر: لولاك لافتضحنا. وترك الحَلْي بحاله(12).

[128]

قطع يد سارق بيت المال

روي أنّ أميرالمؤمنين(عليه السلام) رفع إليه رجلان سرقا من مال الله، أحدهما عبد من مال الله، والآخر من عروض الناس(13).

فقال(عليه السلام): أمّا هذا فهو من مال الله ولا حدّ عليه، مال الله أكل بعضه بعضاً.

وأمّا الآخر فعليه الحد فقطع يده(14).

[129]

صفات الاخوة والصداقة عند عليّ(عليه السلام)

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام):

«كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللهِ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلاَ يَشْتَهِي مَا لاَ يَجِدُ وَلاَ يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابوَصِلُ وَاد لاَ يُدْلِي بِحُجَّة حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً، وَكَانَ لاَ يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ، وَكَانَ لاَ يَشْكُو وَجَعاً إِلاَّ عِنْدَ بُرْئِهِ، وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلاَ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلاَمِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَان إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ.

فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ الْخَلاَئِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ»(15).

[130]

هدوء عليّ(عليه السلام) في ميدان المعركة

روى أبو حيان التيمي عن أبيه قال: بينما عليّ(عليه السلام) يعبّىء الكتائب يوم صفين ومعاوية مستقبله على فرس له يتأكل تحته تأكلا وعليّ(عليه السلام) على فرس رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) المرتجز، وبيده حربة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو متقلّد سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه: احترس يا أميرالمؤمنين فانّا نخشى أن يغتالك هذا الملعون، فقال(عليه

السلام): لئن قلت ذاك إنّه غير مأمون على دينه وإنّه لأشقى القاسطين، وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلاّ ومعه لملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه من هذا ـ وأشار إلى لحيته ورأسه ـ عهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب(16).

ومن كلام لأميرالمؤمنين(عليه السلام) لما خوف من الغيلة: وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي; فَحِينَئِذٍ لاَ يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلاَ يَبْرَأُ الْكَلْمُ(17).

وقال(عليه السلام): إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ(18).

[131]

عقوبة كتمان الحقّ

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) لأنس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئاً قد سمعه من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في معناهما، فلوى عن ذلك فرجع إليه، فقال: إنّي أنسيت ذلك الأمر!

فقال(عليه السلام): إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة(19) لا تواريها العمامة.

قال الراوي: فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى إلاّ متبرقعاً.

قال ابن أبي الحديد: المشهور أن عليّاً(عليه السلام) ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة، فقال: أُنشدكم الله رجلا سمع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لي وهو منصرف من حجة الوداع: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه»، فقام رجال فشهدوا بذلك، فقال(عليه السلام) لأنس بن مالك: لقد حضرتها، فما بالك!

فقال: يا أميرالمؤمنين كبرت سني، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره!

فقال له: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا تواريها العمامة، فما مات حتى أصابه البرص.

وأضاف ابن أبي الحديد: فأمّا ما ذكره الرضي من إنّه بعث أنساً إلى طلحة والزبير فغير معروف، ولو كان قد بعثه ليذكرهما بكلام يختص بهما من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يرجع، فيقول إنّي أنسيته، فينكر بعد الاقرار! هذا مما لا يقع(20).

وروي أن أنساً كان في حضرة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول لطلحة والزبير: إنّكما تحاربان عليّاً وأنتما له ظالمان(21).

[132]

جواب دامغ لبعض اليهود

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) لبعض اليهود حين قال له: ما دفنتم نبيّكم حتى اختلفتم فيه!

فقال(عليه السلام) له: إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ، وَلكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: (اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(22).

قال المفسرون: انّ اليهود مرّوا على قوم يعبدون أصناماً لهم على هيئة البقر، فسألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً كواحد منها، بعد مشاهدتهم الآيات والاعلام، وخلاصهم من رق العبودية، وعبورهم البحر، ومشاهدة غرق فرعون، وهذه غاية الجهل.

[133]

بداية ضلالة الخوارج

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان: «بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ.

فقيل له: مَن غرّهم يا أميرالمؤمنين؟

فقال: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ فِي المَعَاصِي، وَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ»(23).

[134]

حزن أميرالمؤمنين(عليه السلام) على محمّد بن أبي بكر

يعتبر محمّد بن أبي بكر من الشيعة الأوفياء المخلصين لأميرالمؤمنين(عليه السلام)، ولد في 25 ذي القعدة في السنة العاشرة للهجرة (حجة الوداع) في منطقة (ذو الحليفة) وهي محل احرام أهل المدينة. أُمّه هي أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمّداً، ثمّ تزوجها عليّ بعده وتربّى محمّد في حجره وكان جارياً مجرى أولاده حتى قال عليّ(عليه السلام): محمّد ابني من صلب أبي بكر(24).

قال أرباب السير: بعد أحداث التحكيم سيطر أتباع عثمان على أطراف مصر، فأرسل لهم محمّد بن أبي بكر (والي أميرالمؤمنين على مصر) ابن مضاهم الكلبي فقتله أهل خربتا.

وخرج معاوية بن حُديج، فدعا إلى الطلب بدم عثمان فأجابه ناس آخرون وفسدت مصر على محمّد بن أبي بكر.

فبلغ عليّاً(عليه السلام) وثوب أهل مصر على محمّد بن أبي بكر واعتمادهم إياه، فقال: ما لمصر إلاّ أحد الرجلين صاحبنا الّذي عزلناه عنها ـ يعني قيس بن سعد ـ أو مالك الأشتر.

فكتب عليّ إلى مالك الأشتر وهو يومئذ بنصيبين: أمّا بعد فإنّك ممن استظهرته على إقامة الدين وأقمع به نخوة الاثيم وأشد به الثغر المخوف وكنت وليت محمّد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء فاقدم عليَّ للنظر في ذلك فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام.

فأقبل مالك إلى عليّ(عليه السلام) حتى دخل عليه فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها وقال: ليس لها غيرك اخرج رحمك الله فإنّي إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك فاخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلاّ الشدة.

قال المدائني: أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمّد بن أبي بكر، وقد تفرّق عنه أصحابه، فخرج محمّد مستمهلا، فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة، فآوى إليها، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمّد، حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق، فسألهم: هل مرّ بهم أحد ينكرونه؟ قالوا: لا.

قال أحدهم: إنّي دخلت تلك الخربة، فإذا أنا برجل جالس.

قال ابن حديج: هو هو وربّ الكعبة، فانطلقوا يركضون، حتى دخلوا على محمّد، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به نحو الفسطاط.

قال: ووثب أخوه عبدالرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص، وكان في جنده، فقال: لا والله لا يقتل أخي صبراً، ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه، فأرسل عمرو بن العاص: أن ائتني بمحمّد.

فقال معاوية: أقتلتم كنانة بن بشر، ابن عمي وأُخلي عن محمّد! هيهات! (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ)(25).

فقال محمّد: اسقوني قطرة من الماء، فقال له معاوية بن حديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنّكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فسقاه الله من الحريق المختوم، والله لأقتلنك يا بن أبي بكر وأنت ظمآن، ويسيقيك الله من الحميم والغسلين.

فقال له محمّد: يابن اليهودية النساجة، ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان، إنّما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويظمىء أعداءه، وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم.

فقال له معاوية بن حديج: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثمّ أحرقه عليك بالنار.

قال: إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله، وأيم الله إنّي لأرجو أن يجعل الله هذه النار الّتي تخوفني بها برداً وسلاماً، كما جعلها الله على إبراهيم خليله، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك، كما جعلها على نمرود وأوليائه، وإنّي لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية، وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظى، كلما خبت زادها الله عليكم سعيراً.

فقال له معاوية بن حديج: إنّي لا أقتلك ظلماً، إنما أقتلك بعثمان بن عفان.

قال محمّد: وما أنت وعثمان! رجل عمل بالجور، وبدل حكم الله والقرآن وقد قال الله عزّ وجلّ: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ)(26)(فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(27)(فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ)(28)فنقمنا عليه أشياء عملها فأردنا أن يخلع من الخلافة علنا، فلم يفعل، فقتله من قتله من الناس.

فغضب معاوية بن حديج، فقدمه فضرب عنقه، ثمّ ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار(29).

وعندما قيل لأميرالمؤمنين(عليه السلام): يا أميرالمؤمنين(عليه السلام) قلما رأيت قوماً قط أسر ولا سروراً قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم هلاك محمّد بن أبي بكر.

فقال عليّ(عليه السلام): أمّا إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافاً.

وحزن عليّ(عليه السلام) على محمّد بن أبي بكر حتى روّي ذلك في وجهه وتبين فيه، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: ألا إنّ مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا على سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإن محمّد بن أبي بكر قد استشهد(رحمه الله) فعند الله نحتسبه(30).

طريقة التهنئة بالمولود

كان أميرالمؤمنين(عليه السلام) جالساً بين أصحابه، فهنأ بحضرته رجل رجلا آخر بغلام ولد له فقال له: ليهنئك الفارس!

فقال(عليه السلام): «لاَ تَقُلْ ذلِكَ، وَلكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ»(31).

وقال الإمام(عليه السلام) لعبدالله بن العبّاس لما ولد ابنه عليّ بن عبدالله:

شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، ورزقت خيره وبره، خذ إليك أبا الأملاك(32).

[136]

اسلوب التعزية

عزّى أميرالمؤمنين(عليه السلام) قوماً عن ميت مات لهم فقال(عليه السلام):

«إِنَّ هذَا الأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ، وَلاَ إِلَيْكُمُ انْتَهَى، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هذَا يُسَافِرُ؟

فقالوا: نعم.

قال: فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلاَّ قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.

وقد روي ان ولداً لإبراهيم بن المهدي العباسي قد توفي، فرثاه قائلا:

يئوب إلى أوطانه كلّ غائب *** وأحمد في الغياب ليس يئوب

تبدل داراً غير داري وجيرة *** سواي وأحداث الزمان تنوب

أقام بها مستوطناً غير أ نّه *** على طول أيام المقام غريب

وإنّي وإن قدمت قبلي لعالم *** بأ نّي وإن أبطأت عنك قريب

وإنّ صباحاً نلتقي في مسائه *** صباح إلى قلبي الغداة حبيب(33)

[137]

عمّار والمغيرة

قال أميرالمؤمنين(عليه السلام) لعمّار بن ياسر(عليه السلام) وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً:

«دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلاَّ مَا قَارَبَتْهُ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمد لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ».

قال ابن أبي الحديد: انّ أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين يفسقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عام الحديبية نظر إليه قائماً على رأس رسول الله مقلداً سيفاً، فقيل: من هذا؟

قيل: ابن أخيك المغيرة.

قال: وأنت هاهنا يا غدر! والله إني إلى الآن ما غسلت سوأتك.

وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة، كان قد صحب قوماً في بعض الطرق، فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم، وهرب خوفاً أن يلحق فيقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقدم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لا يرد على أحد إسلامه، أسلم عن علّة أو عن اخلاص، فامتنع بالإسلام، واعتصم وحمى جانبه(34).

[138]

الاستغفار والتوبة الحقيقية

قال شخص بحضرة أميرالمؤمنين(عليه السلام): أَسْتَغْفِرُ اللهَ!

فقال له أميرالمؤمنين(عليه السلام): ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْرِي مَا الإِسْتِغْفَارُ؟ إِنَّ الاَسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَان:

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.

وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً.

وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللهَ عزّوجلّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ.

وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا.

وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ، حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ الْمَعْصِيَةِ.

فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُاللهَ(35).

[139]

صبر وتحمّل الإمام عليّ(عليه السلام)

بعد أحداث التحكيم في «دومة الجندل» أصبح الكثير من أصحاب أميرالمؤمنين(عليه السلام) بالأمس أعداءه اليوم، وهم الخوارج الذين خرجوا عن طاعته ورفعوا شعار «الحكم لله لا لك يا عليّ» وذلك بعد واقعة التحكيم. ولقد كان الإمام يعاني منهم الأمّرين خصوصاً انهم كانوا يعيشون في الكوفة وبين أتباعه.

ويروى ان أميرالمؤمنين(عليه السلام) كان جالساً في أصحابه إذ مرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال(عليه السلام): «إِنَّ أَبْصَارَ هذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وَإِنَّ ذلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا، فإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَة تُعْجِبُهُ فَلْيُلاَمِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه.

فوثب القوم لِيقتلوه.

فقال: رُوَيْداً، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْب!»(36).

وهذه الحادثة تبيّن لنا طبيعة الحياة السياسية الّتي أشاعها أميرالمؤمنين(عليه السلام) في دولته الفتية بالرغم من كلّ الصعوبات والعراقيل الّتي أوجدها معارضوه في طريق هذه الدولة. فهذه الحادثة تبيّن:

1 ـ سيطرة أميرالمؤمنين(عليه السلام) على البلاد.

2 ـ الجو الديمقراطي الّذي أشاعته حكومة الإمام(عليه السلام).

3 ـ سعة صدر الإمام(عليه السلام) وعفوه حتى على أعدائه.

4 ـ اضافة إلى مسألة أخلاقية تبيّنه الحادثة وهو اسلوب القضاء على فوران الغريزة الجنسية بالالتجاء إلى الطريق الحلال في أشياعها.

[140]

الابن الّذي أضلّ أبيه

من خلال التدبّر في التاريخ نجد ان الكثير من الضلالات الّتي وقعت للآباء كانت نتيجة لطاعتهم لأبنائهم، ومن أمثلة التاريخ هي قصة الزبير مع ابنه عبدالله.

فالزبير بن العوام بن خويلد، هو ابن أخ خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو كذلك ابن عمّة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) صفية بنت عبدالمطلب.

كان الإمام عليّ(عليه السلام) يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبدالله(37).

كان عبدالله بن الزبير يبغض عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) خاصة وينال من عرضه، وجمع ـ يوماً ـ محمّد بن الحنفية وعبدالله بن عباس في سبعة رجلا من بني هاشم منهم: الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وحصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم وأراد أن يحرقهم بالنار، فجعل في فم الشعب حطباً كثيراً فأرسل المختار أربعة آلاف، فجدوا السير حتى انتهوا إلى مكة فباغتوا ابن الزبير وأنقذوا بني هاشم.

كان عبدالله بن الزبير هو الّذي يصلي بالناس في أيام الجمل، لأنّ طلحة والزبير تدافعا الصلاة، فأمرت عائشة عبدالله أن يصلي قطعاً لمنازعتهما، فإن ظهروا كان الأمر إلى عائشة، تستخلف من شاءت.

وكان عبدالله بن الزبير يدعي أ نّه أحق بالخلافة من أبيه ومن طلحة، ويزعم أن عثمان يوم الدار أوصى بها إليه.

واختلفت الرواية في كيفية السلام على الزبير وطلحة، فروي أ نّه كان يسلم على الزبير وحده بالامرة، فيقال: السلام عليك أيها الأمير، لأن عائشة ولّته أمر الحرب.

وروي أ نّه كان يسلم على كلّ واحد منهما بذلك.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: لما نزل عليّ(عليه السلام) بالبصرة ووقف جيشه بإزاء جيش عائشة، قال الزبير: والله ما كان أمر قط إلاّ عرفت أين أضع قدمي فيه، إلاّ هذا الأمر، فإنّي لا أدري: أمقبل أنا فيه أم مدبر!

فقال له ابنه عبدالله: كلا ولكنك فرقت سيوف ابن أبي طالب، وعرفت أن الموت الناقع تحت راياته.

فقال الزبير: ما لك أخزاك الله من ولد ما أشأمك!(38)

فقال الراوي: برز عليّ(عليه السلام) يوم الجمل، ونادى بالزبير: يا أبا عبدالله، مراراً، فخرج الزبير، فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما، فقال له عليّ(عليه السلام): إنّما دعوتك لأذكرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبّه؟ قلت: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي!

فقال: أمّا إنّك ستحاربه وأنت ظالم له.

فاسترجع الزبير، وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر، ورجع إلى صفوفه.

فقال له عبدالله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الّذي فارقتنا به!

فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر، فلا أُحاربه أبداً، وإنّي لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبدالله: ما أراك إلاّ جبنت عن سيوف بني عبدالمطلب، إنّها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير: ويلك! أتهيجني على حربه، أمّا إني قد حلفت ألاّ أُحاربه.

قال: كفّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أ نّك جبنت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني، ثمّ أنصل سنان رمحه وحمل على عسكر عليّ(عليه السلام) برمح لا سنان له، فقال عليّ(عليه السلام): أفرجوا له، فإنه مخرج، ثمّ عاد إلى أصحابه، ثمّ حمل ثانية، ثمّ ثالثة، ثمّ قال لابنه: أجبناً ويلك ترى!

فقال: لقد أعذرت.

فلما كرّ الزبير راجعاً إلى أصحابه نادماً واجماً، رجع عليّ(عليه السلام)إلى أصحابه جذلا مسروراً، فقال له أصحابه: يا أميرالمؤمنين تبرز إلى الزبير حاسراً، وهو شاك في السلاح، وأنت تعرف شجاعته!

قال: إنّه ليس بقاتلي، إنّما يقتلني رجل خامل الذكر، ضئيل النسب، غيلة في غير مأقط حرب، ولا معركة رجال، ويلمه أشقى البشر! ليودن أن أُمه هبلت به! أما إنّه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن!(39).

وبهذه الحكاية

نكون قد وصلنا إلى آخر الحكايات الّتي اقتبسناها من نهج البلاغة، معين الإمام عليّ(عليه السلام) الّذي لا ينضب. وقد حاولنا في اختيارنا لهذه الحكايات أن تكون عبارة عن قبسات مشعة من حياة أميرالمؤمنين(عليه السلام)لتشمل جميع نواحي حياته المليئة بالدروس والعبر. وعلى كلّ حال فإنّ سيرة عليّ(عليه السلام) وفضائله سيرةٌ حافلة واسعة الأرجاء، لم ولن تستوعبها الدراسات الضخمة، والمجلدات المتعددة.

نتمنى أن نكون قد وفقنا في ذكر بعض من

الجوانب المشرفة من حياة هذا الإمام العظيم إن شاء الله.

والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا

لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/66.

(2) نهج البلاغة: 4/72، الحكمة: 300.

(3) نهج البلاغة: 4/72، الحكمة: 318.

(4) نهج البلاغة: 4/102، الحكمة: 437.

(5) نهج البلاغة: 4/71، الحكمة: 294.

(6) نهج البلاغة: 4/61، قصار الكلمات: 261.

(7) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 18/115.

(8) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/147.

(9) الإمامة والسياسة 1: 52.

(10) نهج البلاغة: 266.

(11) كنز العمال: 1/285.

(12) نهج البلاغة: 4/65، الحكمة: 270.

(13) أي أن السارقين كانا عبدين: أحدهما عبد لبيت المال، والآخر عبد لأحد الناس. وعروض: جمع عرض ـ بفتح فسكون ـ هو المتاع غير الذهب والفضة.

(14) نهج البلاغة: 4/65.

(15) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/183.

(16) بحار الأنوار: 67/172.

(17) نهج البلاغة: 1/108، الحكمة 62.

(18) نهج البلاغة: 4/46، الحكمة 201.

(19) يعني: البرص.

(20) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/217.

(21) نهج البلاغة: 4/74.

(22) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/225.

(23) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/235.

(24) نهج البلاغة: 1/117.

(25) القمر: 43.

(26 و 27 و 28) المائدة: 44 و45 و47

(29) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 6/86.

(30) الموفقيات: 347 ح 202.

(31) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/270.

(32) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 20/334.

(33) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 19/274.

(34) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 20/8.

(35) نهج البلاغة: 4/97، الحكمة 417.

(36) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 20/63.

(37) نهج البلاغة قصار الكلمات.

(38) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/166.

(39) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/233.